ان الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة

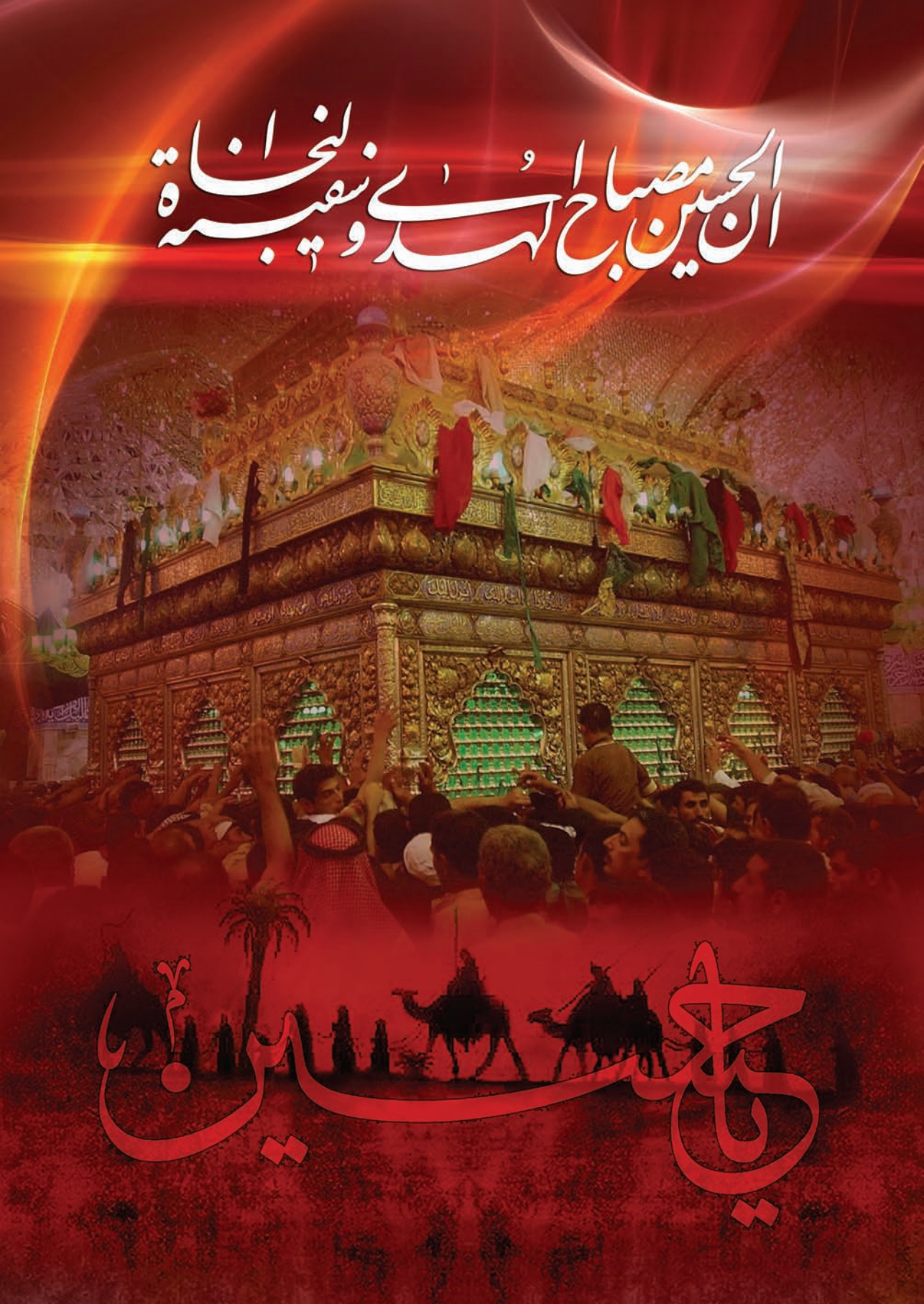

يا حسين!

كلمة العدد

وقـفة..
أسرة المجلة ٦

قصيدة: صنوان رأسك فوق الرمح
جاسـم الصحيّـح ٨

مواقف سعيد بن عبد الله الحنفي
الشيخ حسن كريم الربيعي ١٢

السلفية المعاصرة وأدلجة الفكر الأموي
عـلي الفحـام ١٨

رمزية نهر الفرات في القضية الحسينية
حيـدر الجـد ٣٢

الإمام الحسين عليه السلام في شعر الشيخ محمد آل حيدر
د. سعد الحداد ٣٨

كتاب "تراجيديا كربلاء" عرض وتحليل
أحمد سـلمان آل طعمـة ٤٤

عبد الله بن يقطر سفير الإمام الحسين عليه السلام
د. محمد جواد فخر الدين ٤٨

قصيدة: كربـلاء
محمود محمد حسـين الموصلي ٥٤

من مزارات كربلاء.. مقام تل الزينبية
سـلمان هـادي آل طعمـة ٥٦

الأسرار الغيبية وأثرها في نهضة الإمام الحسين عليه السلام
د. حيدر كريـم الجمالي ٦٢

ص٣٨

ص١٨

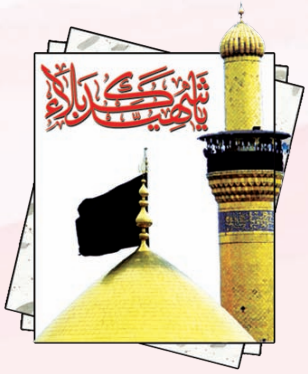

ص١٠٢

من خطباء المنبر الحسيني.. الشيخ صالح الدجيلي

حيدر المالكي ٧٤

الأداء البياني في خطبة فاطمة الصغرى عليها السلام

د. عبد الإله العرداوي

نور طالب ٨٠

عابس الشاكري.. حبّ الحسين أجنني

الشيخ حميد البغدادي ٨٤

وجه من الطف.. على آخر الرمل

د. علي مجيد البديري ٨٨

البعد (الزمكاني) لواقعة الطف

محمد دعيبل ٩٤

قصيدة: درب السماء

قيصر عبد الحسين أبو طبيخ ٩٧

يوم مطرت السماء دماً.. يوم عاشوراء

د. عبد الوهاب الحكيم ٩٨

ثورة الحسين عليه السلام.. مواقف وعبر

م. هاشم جعفر الموسوي ١٠٢

المنبر الحسيني

طالب علي الشرقي ١٠٦

قالوا في الحسين عليه السلام ٣٠

قالوا في الحسين عليه السلام ٧٢

كلمات متقاطعة ١٢٨

أجوبة مسابقة العدد (٣٢) وأسماء الفائزين ١٢٩

ص ٧٤

ص ٦٢

ص ١٠٦

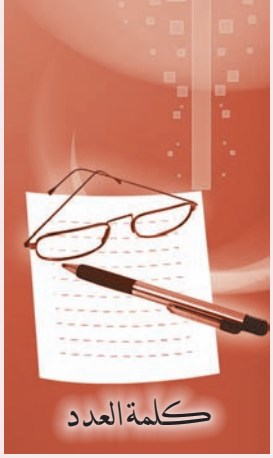

وقفة..

بسم الله الرحمن الرحيم

نستقبلُ شهر محرّم الحرام بالحزن والأسى لما حلّ بثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في أرض كربلاء وما جرى على الذرّية الطاهرة في تلك الفاجعة التي هي الفيصل الحقيقي للصراع الكبير الذي حدث إبان وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله على غصب الحق الشرعي من أصحابه الذين تحملوا في سبيل نشر الدين والصبر عليه أقسى أنواع الظلم والتعدي والاستهوان. فقد جاءت واقعة كربلاء لتميز الفئة الظالمة وتضع النقاط على الحروف حتى تعاد الحسابات من جديد وينكشف حجم الزيف الذي مُنيت به الأمة الإسلامية ويتعرّى الظالمون الذين تسلّطوا على رقاب الأمة طوال الفترة التي سبقت واقعة الطف، وتسحب الشرعية التي حاولت السلطة طوال خمسة عقود من الزمن إضفاءها عليها. بعد تحوير النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على أحقية أهل البيت عليهم السلام للمنصب الإلهي المقدس، والتي كانت بمرأىً ومسمع من كل من كان مشتركاً في العمل على تحقيق الانحراف الكبير.

كما جاءت الفاجعة لسدّ الذرائع التي يمكن أن يتذرع بها أصحاب المصالح في محاولة لإقناع العامّة من المسلمين بمشروعية كثير من المفاهيم المفتعلة التي اخترعت من أجل الاستفادة منها

للوصول إلى المناصب السلطوية غير الشرعية.

ثم كان من أهم فوائدها الجليلة ربط الشيعة بأئمة الهدى عليهم السلام ربطاً عقائدياً فاعلاً، بعد تهييج المشاعر تجاه ما وقع على سيد الشهداء عليه السلام مع إتباع آلية الترغيب وجعل الثواب العظيم لمن يتسنى له أن يذكره عليه السلام أو يبكي عليه، أو حتى أن يتباكى ويظهر الحزن، فضلاً عن اللطم والجزع وشق الجيوب، لما في ذلك من الشدّ والارتباط به، وبأهل البيت عليهم السلام عموماً، مع ما فيه من بغض الظالمين الذين قاموا بهذه الجرائم، ومن هيأ الفرصة لهم، ومكنهم من رقاب المسلمين، فكان ذلك ـ الولاء لأهل البيت عليهم السلام وبغض أعدائهم ـ هو الأساس الذي بني عليه الإسلام بل هو روح الدين الحنيف، لذا فنحن ـ من منطلق المسؤولية تجاه إخواننا ـ ندعو شيعة أهل البيت عليهم السلام بالعمل على هذين المحورين، عملاً جاداً لا هوادة فيه، لتعميق الصلة بأهل البيت عليهم السلام والربط بهم وتقوية أواصر الحب في الله تعالى عن طريق الوصلة بهم، مع تعميق الفجوة بينهم وبين أعدائهم وترك المحاباة والمجانبة، وغضّ النظر عن الماضي والانشغال بالحاضر، كما هي دعوات كثير من المغرضين اليوم، بل تعدت المحاولات المذكورة إلى العمل على تقليل مظاهر العزاء والحزن وتبرير ذلك بأنه لم يرد في الشريعة بحجة أن اللازم طرح كل ما لم يرد فيه نص، والاقتصار على خصوص البكاء لأنه ورد فيه نصّ... كل هذا وأمثاله من المحاولات الفاشلة لا ينبغي الإصغاء إليها بعد أن كانت المظاهر العزائية بمختلف أنواعها وعلى اختلاف الثقافات والمجتمعات كلها تصبّ في الواقع الذي دعا إليه أئمة الهدى عليهم السلام، وهو الارتباط العاطفي بأصحاب المصائب والعزاء أعني سيد الشهداء وذريته وأهله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، فلا وقع حينئذ لمثل هذه المحاولات، فضلاً عن الانشغال بها وردها، بل لابد من الاهتمام بالمظاهر العزائية واستشعار الحزن والأسى لما ناب سيد شباب أهل الجنة وذريته وأهله وأصحابه في تلك الواقعة الخالدة. والسلام على إخواننا المؤمنين في كل مكان ورحمة الله وبركاته ■

أسرة المجلة

صنوان رأسك فوق الرمح*

جاسم الصحيّح •
المملكة العربية السعودية

صنوان: رأسك فوق الرمح والقمرُ ... كلاهما ملء وجه الليل يستعرُ
كلاهما ينزف الأضواء من كبدٍ ... حرّى.. وعافية الظلماء تعتصرُ
يا فكرة النور في أجلى مظاهرهِ ... بيضاءَ.. يهتف فيها باسمك الظفرُ
تجترك الأرض جوعى كلما نضجت ... ذكراك بالوعي حتى تسمن الفكرُ
ذكراك فوَّهة الثورات، صوَّبها ... عزم السماء.. ومن طلقاتها القدرُ
ظلَّ (الطرماح) يعدوها بأغنيةٍ ... ما خانها اللحن لما أخلص الوترُ
ووقفة لك يوم (الطف) شامخةٍ ... بالعنفوان.. عليها العنف ينتحرُ
فزَّ النهار فألفى الشمس حائرةً ... خلف العجاج.. كأنَّ الشمس تختبرُ
ما راعه غير أن يلقاك منفجراً ... شمساً بأتّونها الأجيال تنصهرُ
ها أنت ترسم للثوار في عَنَتِ الـ ... مشوار: كيف يجازُ المسلك الوعرُ
فَرُب دربٍ يتيهُ الفاتحون به ... في خطوةٍ من خطاك الشم يختصرُ
قُلْ لي: بِشِلْوِكِ والأسيافُ تَنْثُره ... فِكْراً على كلِّ قِرْطاسٍ فَيَنْتَثِرُ!
تاجانِ زَانَاكَ.. أيُّ فاقَ تَوْأَمَهُ: ... في قلبكِ (السهمُ) أَمْ في هامِكَ (الحَجَرُ)

* منتقاة من ديوان الشاعر (أعشاش الملائكة).

تاجانِ زَانــاكَ فاصْدِقْني بأيِّهما على ســواكَ من الأحــرارِ تفتخِرُ؟

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

هل كنتَ في (الطفِّ) إلا شاعراً وطَنَياً كلُّ المساكينِ في أحلامِهِ كَبِروا
أصغَتْ إليكَ طيورُ الأرضِ جائعةً للشعر فانتَثَرَتْ من حولها الصُّوَرُ
سهرتَ يوماً وأسهرتَ الطغاةَ بهِ دَهراً.. فهل كان من فرسانِكَ السَّهَرُ
مشىَ جــوادُكَ والـتـاريـخُ يتبعُهُ والحمحماتُ على الأيّـامِ تَنْهَمِرُ
والدهرُ غابَ وراء الوعي حين رأىَ على ســواعــدِكَ التاريخَ ينشطرُ
وفي حُسَامِكَ ما الأجيالُ حافظةٌ.. وديعتاك لديها: الصبرُ والظفرُ
وأنتَ والسرجُ.. تُعلي من مكانتهِ حتىَّ جَثَتْ في مداكَ الأنجمُ الزُّهُرُ
فاضَ الخلودُ على رِجْلَيْكَ مُنْسَفِحاً من الركابِ وماجَتْ حولكَ العُصُرُ
وبايَعَتْ عُـمْـرَكَ الأزمــانُ قاطبةً كأنَّها لك من دون الــورىَ عُمُرُ
فاستيقظَ الموتَ كي يُلْفِي حقيقتَهُ بين (الخيامِ) وبين (النَهْرِ) تُحْتَضَرُ
لو أُوتِــيَ النخلُ أنْ يستلَّ قامتَهُ سيفاً لأصبحَ من أنصارِكَ الشَّجَرُ !

أَوْ كـانَ للماء أن يجلو عواطفَهُ لَجاءَ يسعىَ إلى أطفالِكَ النَهَرُ !

* * * * *

ياعبرةً كلما اخضرت مجامرها تَفَتَّقَتْ من جنى نيرانها العِبَرُ
ما بال رأسـك حتى الآن منتصب في الرمح.. ماذا وراء الأفقِ ينتظرُ !!
هذا (المسيح) الذي ناح الصليب له حزناً، لعلَّ ذنـوب الأرضِ تُغتفرُ
مـازال بالثورة الحمراء يُنْبِئُنا أنَّ الطريق إلـى غـزلانِـنـا، نَمِرُ
وأنَّـنـا حينما نـسـتـلُّ مدمعنا سيفاً سيضحكُ مِنَّا الظالم الأَشِرُ
وسـوفَ يخدعُنا الليلُ البهيمُ إذا رُحْـنـاَ بِكوكبِهِ الـبَـراَّقِ ننبهرُ
فجرٌ صفعتَ دياجينا بِـغُـرَّتِـهِ.. فَـهَـلْ تَـلَـقَّـاهُ من أبصرِنا بَصَرُ؟

* * * * *

يا عاصفاً لَفَحَ البستانَ منتفضاً على القتادِ فَحَيَّا لَفْحَهُ الزَّهَرُ
واستأصلَ الشوكّ لم يعبثْ بِبانَعةٍ من الخمائلِ.. فاشهدْ أيُّها الثَمَرُ
مرْحَى لِذِكْرَاكَ ذكرى العاصِفاتِ وقد عـادَتْ تَـهـزُّ قَوافينا وتَعْتَصِرُ
عادَتْ تهزُّ المدى الغافي وتَزْجُرُهُ بالسوطِ يكوي حناياهُ فينزَجِرُ
عـادَتْ ولـم يبقَ من آفاقِنا أُفُـقٌ لـم يـرتَـسِـمْ فيهِ مـن آثـارِهـا أَثَـرُ
فَكُلُّ فِكْرٍ بـهِ من جَمْرِها وَهَـجٌ وكـلُّ سِـفْـرٍ بـهِ عن أَمْسِها خَبَرُ
والثائرونَ بتاريخِ الفدى اخْتُصِرَتْ ثَوْرَاتُهُم.. وبكَ التاريخُ مُخْتَصَرُ

* * * * *

ذكـراكَ أُنشودةٌ سالَتْ حناجِرُها جَمْراً على كَبِدِ (الأحساءِ) يَسْتَعِرُ
(أحساؤنا) حيث مَرَّ الله ذاتَ ضحىً فانشقَّ في الأرض من خُطْوَاتِهِ نَهَرُ
وامتدَّ في الأُفْـقِ نَخْلٌ من جلالتِهِ ما كـاد يهتزُّ حتَّى هَـلَّـلَ المطرُ

إيمانُها بِـكَ لم تُجْرَحْ عقيدتُهُ.. مُقَدَّسٌ ذلك الإيمانُ يا (هَجَرُ)!
لـكـنَّ بـي غُـصَّـةً مِـمَّـا تـكـابـدُهُ بنتُ الينابيعِ من هَـمٍّ.. وتصطبرُ:
تُسْقَى نُخَيْلاَتُهاَ من دمعةٍ سُكِبَتْ على الحسينِ ومن حُصَّادِها الشمرُ !!

* * * * *

يا شامِخاً ما انْحَنَى من أُفْـقِ عِزَّتِهِ إلاَّ لِيُنْقِذَ من أَوْدَتْ بِـه الحُفَرُ
خُذْنا على شَـرَرٍ رِيشَتْ قوادِمُهُ بِغَضْبَةٍ منكَ لم يُجْهَضْ لها شَرَرُ
إنَّا هَجَعْنا على الجُرْحِ الذي عَبَرَتْ بـهِ السنينُ ولـم يَهْجَعْ لَـهُ سَمَرُ
بِتْنَا وللظُّلْمِ فـي أيَّـامِـنـا ظُـلَـمٌ تعدو، ولِلوَهْمِ في أحلامِنا قَمَرُ
نُسقَى اللظَى وقُصارَى الجهدِ أدعيةٌ تنمُو على شَفَةِ النجوَى وتَزْدَهِرُ
إذا تمطَّى على أشـلاء ذِلَّـتِـنـا سَـوْطٌ دَعَـوْنَـا بـأنَّ السوطَ ينكسرُ
ظمأى.. نجيئك نستسقي.. ومِحنتُنا أنَّـا متى انهلَّتِ الأمطارُ نَنْذَعِرُ!
ماذا ستُنْقِذُ في الظمآنِ، يَنْشُدُكَ الـ ـسُقْيَا ويُرْهِبُهُ أن يهطلَ المطرُ!

* * * * *

يا حاطمَ الظُفْرِ معْتَداً بِقُوتِهِ.. ما زال ينهشُ في أشلائِنا الظُفُرُ
والعدلُ.. ما العدلُ ! لا تسألْ بِهِ خَبَراً لقد تَفَتَّتَ ذاك الهيكلُ النَّخِرُ!
مـولايَ.. صُغني بهذا التيهِ بوصلةً تستكشفُ الله فيما أنكرَ البَشَرُ
صغني جَحيمَ (حسابٍ) ذاتَ (قارعةٍ) كلُّ الطواغيتِ في ساعاتِها حُشِروا
صغني وصغني.. ففي أعماقِ جانحتي كنزٌ تَجَلَّتْ به عن حُبِّكَ الـدُّررُ
هَـوَاكَ بدعةُ قلبي.. لا أَرَى بِدَعاً أحلىَ وأقـدسَ مِمَّاَ القلبُ يبتكرُ!
لا كانَ هذا الهوىَ عنقودَ خابِيَتي لو معشرٌ شربوا قلبي وما سَكِروا!

* * * * *

مواقف سعيد بن عبد الله الحنفي من أجل الثورة الحسينية

الشيخ حسن كريم الربيعي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

اسمه ونسبه:

هو سعيد بن عبد الله الحنفي من وجوه الشيعة بالكوفة ومن ذوي الشجاعة والعبادة فيهم[1]، والحنفي: نسبة إلى بني حنيفة، وحنيفة بن لجيم من بكر بن وائل وهم من العدنانية[2] ذكره الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في كتابه (الرجال) باسم سعيد بن عبد الله من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام[3]، وذكره القاضي النعمان المغربي في كتابه (شرح الأخبار) ممن استشهد يوم كربلاء من بني حنيفة[4]، وذكره ابن شهراشوب (ت٥٨٨هـ) في كتابه (المناقب) باسم سعيد بن عبد الله[5]، والمشهدي في كتابه (المزار)[6]، والمشهور أن اسمه سعيد إلا أنه ورد في بعض الكتب باسم سعد بن عبد الله الحنفي، فقد عنونه السيد الخوئي رحمه الله باسم سعد بن عبد الله وذكر أنه من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ومن المستشهدين بين يديه مع ذكره لنسبه بالحنفي ثم ذكر الفرق الوارد في اسمه في الزيارتين فهو سعد في زيارة الناحية المقدسة وسعيد في الزيارة الرجبية ثم أعاد ذكره في الرقم (٥١٥٩) بعنوان سعيد بن عبد الله الحنفي من المستشهدين بين يدي الإمام الحسين عليه السلام ثم عقب على ذلك أنه قد تقدم في ترجمة سعيد بن عبد الله[7] وكان الأولى الاكتفاء بترجمة واحدة وتحقيق اسمه بها فإن الأشهر قد ورد باسم سعيد كما ذكره الطبري في تاريخه وهو ينقل أحداث

كربلاء وقد عقب محقق الكتاب أن سعداً هو محرف[٨].

ويبدو واضحاً شهرته الواسعة في الأوساط وتحمسه من أجل الثورة الحسينية بما سنلمسه من حركته الفعالة بين مكة والكوفة وكربلاء إلا أن المعلومات نادرة جداً عنه.

سفر سعيد بن عبد الله الحنفي من الكوفة إلى مكة:

بدأ يبرز اسمه في مقدمات الثورة الحسينية يوم حمل الرسائل من الكوفة إلى مكة حيث مقر الإمام الحسين عليه السلام، وربما له المواقف التي لم يخبرنا التاريخ بها في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وابنه الإمام الحسن عليه السلام.

كانت كتب أهل الكوفة تتوالى على الإمام الحسين عليه السلام وهو في مكة فقد سبق سعيد بن عبد الله الحنفي العديد من الكتب كانت قد أرسلت مع:

١ـ عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال.

٢ـ قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن الكدن الأرحبي وعمارة بن عبيد السلولي.

وكان معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة[٩].

ثم جاء دور سعيد بن عبد الله الحنفي مع هانئ بن هانئ السبيعي ويبدو أنها رسالة عامة فقد ذكرها الطبري (ت٣١٠هـ) في تاريخه وكان نصها: (بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين أما بعد: فحي هلا، فإن الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل والسلام عليك)[١٠].

ثم يذكر الطبري أن مجموعة من وجوه أهل الكوفة أيضاً كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام وهو في مكة ويبدو أن الحنفي والسبيعي أيضاً قد حملوا هذه الرسائل معهم كما يدل عليه سياق الكلام، فبعد أن ختم الرسالة العامة من شيعة الإمام

الحسين عليه السلام في النص الذي نقلناه جاءت عبارة: (وكتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن يزيد وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمد بن عمير بعبارة واحدة: (أما بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند والسلام عليك)[11].

وفي نص الطبري أن الرسل قد تلاقت عند الإمام الحسين عليه السلام ومنه يفهم اجتماعهم عنده وسؤاله عن الأحوال العامة في الكوفة.

وبعد أن اطمأن عن هذه الأحوال المنقولة إليه من قبل الرسل فاختار آخر الرسل لحمل الجواب لأهل الكوفة فكان من نصيب الحنفي والسبيعي فكان لهما شرف حمل الرسالة الجوابية عن جميع الرسائل المرسلة إليه، وقد جاء فيها:

(**بسم الله الرحمن الرحيم. من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أما بعد: فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، قرأت كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام**)[12].

ويظهر من هذا النص قدر الحنفي والسبيعي بتكليفهم بهذه المهمة مع ذكر اسم كل واحد منهما في الرسالة مع ذكره لمبعوثه الذي سيكون الحكم بعد المشاهدة الحسية والمعرفة الميدانية بكل ما يدور في أزقة الكوفة وسككها ثم ختم الإمام رسالته بصفات الحاكم العامل العادل الذي له الحق في الحكم.

ومن المحقق أن الحنفي قد جاء بالرسالة إلى الكوفة رغم خطورة الموقف وأخبر بها أشراف ووجوه أهل الكوفة، وهو دور مهم قام به الحنفي كمقدمة من مقدمات الثورة الحسينية المباركة.

سفر سعيد بن عبد الله الحنفي من مكة إلى الكوفة:

وصل الرسالة إلى الكوفة يحملها الحنفي وقرأها مسلم بن عقيل في دار المختار بن أبي عبيد كلما اجتمعت إليه جماعة وهم يبكون ثم تحدث في هذه المجاميع عابس الشاكري وحبيب بن مظاهر وسعيد بن عبد الله الحنفي[13]، ومما نقل عنه بعد أن حلف (أنه موطّن نفسه على نصرة الحسين فادٍ له بنفسه)[14].

سفر سعيد بن عبد الله الحنفي من الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام:

يبدو أنه بعدما استقام الأمر لمسلم بن عقيل عليه السلام أرسله برسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام[١٥] يخبره بأن أهل الكوفة على أتم الاستعداد قبل حصول الانقلاب في الرأي نتيجة لتسلط عبيد الله بن زياد وتوليه المصرين البصرة والكوفة.

ويذكر السماوي ولم أجده عند غيره أنه أرسل بكتاب إلى الإمام الحسين عليه السلام وبقي معه حتى الشهادة.

بسالته وشهادته:

إن الإنسان ليقف حائراً متعجباً ومتأملاً لمثل هذه المواقف الفريدة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فرغم القلة القليلة والإحاطة بهم من كل جانب وأذن الإمام عليه السلام لهم بالانصراف للنجاة من الموت المحقق أصروا على الموت ونيل الشهادة، إن هذا الإصرار والإقدام والبسالة كانت سماتهم الغالبة وهي توحي لمستقبلنا أن نعيش ثقافة التراث الأصيل ونبعثه من جديد ليعيش في نفوسنا وفكرنا.

ومن هؤلاء الثلة التي كتبت تاريخها بالذهب سعيد بن عبد الله الحنفي صاحب الرحلة المبدئية والقوة التي لا تلين من اجتياز الخطر في حمل الرسائل وإطاعة أوامر الإمام الحسين عليه السلام.

ولسعيد الحنفي عدة مواقف مر ذكر بعضها، وله موقفان آخران هما:

١ـ موقفه عندما أذن الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه بالانصراف.

٢ـ موقفه الصلب في الدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام.

الموقف الأول:

أذن الإمام الحسين عليه السلام إذناً عاماً للجميع بالانصراف بقوله: (فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لذهلوا عن طلب غيري...)[16]، وكان الإذن حتى لأهل بيته عليهم السلام فأراد أن يواجه الموت وحده، فقال: (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يقضي الله...)[17]، وهي إشارة واضحة أنه لا يريد أن يجبر أي أحد على القتال أو أنه يريد أن يمتحن أهل بيته عليهم السلام وأصحابه وكلا الاحتمالين واردين في تحليل هذا العرض الذي عرضه الإمام الحسين عليه السلام.

لقد ورد على هذا العرض كلاً من أهل بيته عليهم السلام وأصحابه وتفاوتت الآراء والكلمات الحماسية ومن الردود المهمة مقالة سعيد بن عبد الله الحنفي التي تناولت عدة مفاهيم من أهمها:

١ـ والله لا نخليك.

٢ـ حفظ غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ـ صور عدم الترك بين القتل والإحياء والحرق والذر والعدد ومعها لا تحصل المفارقة، فكيف بالقتلة الواحدة التي هي أسهل من كل تلك الصور.

٤ـ نيل الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

ولو رجعنا إلى النص يتضح ذلك بصورة أوضح فما قاله الحنفي للإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، والرواية مروية عن أحد شهود العيان ومن الناجين من المعركة ألا وهو الضحاك ابن عبد الله المشرقي، لقد عبر الحنفي عن الروح الإيمانية التي يمتلكها في حب الشهادة المحققة يوم كربلاء، وكان النص التاريخي هو قول الحنفي في اجتماع الإمام وأهل بيته وأصحابه: (وقال سعيد بن الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حياً ثم أذر، يفعل بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك! وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً)[18]، كان الطريق واضحاً أمام كل المشاركين مع الإمام الحسين عليه السلام وقد أحيط به من كل جانب أنه طريق الشهادة ومع هذا قد تسابقوا على نيلها بكل ثقة واطمئنان بلا خوف ولا وجل.

الموقف الثاني:

نقل هذا الموقف النص التاريخي الذي ذكره الطبري بأن الإمام صلى صلاة الظهر (صلاة الخوف) وكان الحنفي يتقدم ليقي الإمام بنفسه وقدّمه الإمام أمامه ولكنه استهدف من قبل جيش عمر بن سعد وكانوا يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه، فما زال يُرمى حتى سقط[19] شهيداً، ما أروع هذا الصمود وبكل شجاعة وجرأة وهو يصور هذا الموقف تصويراً رائعاً، يطلب الشهادة طلب المحب المفارق فسقط شهيداً في مكانه يقي الإمام عليه السلام لا يتزحزح.

وروى ابن طاووس في كتابه (اللهوف) أنه لما حضرت صلاة الظهر، أمر الإمام عليه السلام زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي أن يتقدما أمامه بنصف من تخلف معه ثم صلى بهم صلاة الخوف، فوصل إلى الإمام عليه السلام سهم فتقدم سعيد الحنفي ووقف يقيه بنفسه مازال ولا تخطى حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: (اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللّه أبلغ نبيك عني السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإني أردت ثوابك في نصر ذرية نبيك ثم قضى نحبه رضوان اللّه عليه، فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح)[٢٠].

وفي رواية التفت إلى الإمام الحسين عليه السلام فقال: (أوفيت يا بن رسول اللّه؟ قال: نعم أنت أمامي في الجنة ثم فاضت نفسه النفيسة)[٢١].

وذكر ابن شهرآشوب في كتابه (المناقب) أن سعيداً قد برز مرتجزاً[٢٢]:

أقدم حسين اليوم تلق أحمدا
وشيخك الخير علياً ذا الندى
وحسناً كالبدر وافى الأسعدا

وفي هذا الموقف اختلفت الروايات التاريخية في شهادته إلى عدة أقوال:

١ـ شهادته أثناء الصلاة.
٢ـ شهادته بعد الصلاة.
٣ـ شهادته وقد برز للقتال.

ومع هذا الاختلاف فإن النتيجة واحدة فقد نال درجة الشهادة الرفيعة وسجل اسمه في سفر الخالدين وبأعلى عليين مع النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام وأصحابه ليرسم لنا أروع صورة في الجهاد عن المبدأ والعقيدة لن تزول عن ذاكرة الأجيال مهما تقادم الزمان ■

(١) السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين، تحقيق: محمد جواد الطبسي، ص١٨٧.
(٢) شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام، ص٩٠.
(٣) الطوسي، رجال الطوسي، ص١٠١.
(٤) القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج٣ ص٢٤٧.
(٥) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣ ص٢٥٢.
(٦) المشهدي، محمد، المزار، ص٤٩٢.
(٧) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٩ ص٧٦.
(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤١٩.
(٩) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٥٢.
(١٠) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٥٣، المفيد، الإرشاد، ص٢٠٣.
(١١) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٥٣.
(١٢) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٥٣.
(١٣) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٥٥.
(١٤) السماوي، إبصار العين، ص١٨٨.
(١٥) المصدر نفسه، ص١٨٨.
(١٦) الطبري، التاريخ، ج٥ ص٤١٩.
(١٧) المصدر نفسه، ج٥ ص٤١٩.
(١٨) المصدر نفسه، ج٥ ص٤١٩.
(١٩) المصدر نفسه، ج٥ ص٤٤١.
(٢٠) ابن طاووس، الملهوف، ص١٦٥.
(٢١) السماوي، إبصار العين، ص١٨٩.
(٢٢) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣ ص٢٥٢.

السلفية المعاصرة وأدلجة الفكر الأموي

علي الفحام •

ينابيع

إنَّ الناظر في أدبيات المدرسة السلفية الحديثة يلمس بوضوح بصمات الفكر الأموي تصبغ الملامح العامة لتنظيرات هذه المدرسة وممارساتها العملية على الساحة الإسلامية، وهذا الانطباع الفكري من الناحية التاريخية لا يعد تأثراً فكرياً مجرداً أنتجته العفوية والصدفة بل يعكس ارتباطاً عضوياً مثلت فيه السلفية المعاصرة الامتداد التاريخي والطبيعي للدولة الأموية.

ولا يعزب عن القارئ الكريم أن (الفكر السلفي المعاصر) إنما ترجع أصوله وتنظيراته إلى ما كتبه ونظر له وأسسه أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم المشهور بابن تيميّة (ت٧٢٨هـ) الذي ينحدر من بيت حمل لواء المذهب الحنبلي بكل ترسباته الفكرية والعقدية، وجمع في شخصيته مدرستي النواصب (البصرية والشامية)، واجتر في مصنفاته ما خلفه أسلافه النواصب كابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦) والقاضي أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣) وأقرانهما .

ينحدر ابن تيميّة من مدينة حران، الواقعة إلى الشمال الشرقي من بلاد الشام، وهي مدينة حوت بين عقول سكانها خلاصة الفكر الناصبي (فقد غلب عليهم الهوى الأموي، فكانوا أشد الناس تعصباً لبني أمية، وكانوا يرون أن صلاة الجمعة لا تتم إلا بلعن الإمام علي عليه السلام! وحين جاءهم الأمر من عمر بن عبد العزيز بإزالة لعن أمير المؤمنين عن المنابر امتنعوا وضجوا،

وقالوا: (لا صلاة إلا بلعن أبي تراب!)[1].

وهكذا ورثت السلفية المعاصرة هذا الفكر وتلك الأدبيات وسعت إلى أن تضعه في قوالب أيديولوجية تعمل على تطويرها وترسيخها في الأجيال الناشئة، والتربص بالفرص المناسبة لإخراج هذه الإيديولوجيا إلى مسرح العمل الميداني بعد أن كانت حبيسة الكتب والتنظيرات، ولعل الإطلاع على نظرة المدرسة السلفية المعاصرة إلى عاشوراء وخروج الإمام الحسين عليه السلام ضد الدولة الأموية يكشف جانباً مهماً من العمل السلفي المعاصر في أدلجة الفكر الأموي.

المدرسة السلفية: الشيعة هم من قتل الحسين!

تركز السلفية بشكل كبير في عقول أبنائها أن شيعة العراق يتحملون المسؤولية عن قتل الإمام الحسين عليه السلام مستندة في ذلك إلى حقيقة أن أهل الكوفة هم الذين دعوا الإمام عليه السلام للخروج وأظهروا استعدادهم للبيعة والطاعة فلما قدم العراق نكثوا العهد والمواثيق وقتلوا الحسين وأهل بيته وأصحابه في واقعة كربلاء الأليمة.

يقول أحد الكتاب السلفيين في (الموقع الإسلامي) السلفي على الانترنت: (إن الحقيقة المفاجئة أننا نجد العديد من كتب الشيعة تقرر وتؤكد أن شيعة الحسين هم الذين قتلوا الحسين. فقد قال السيد محسن الأمين (بايع الحسين عشرون ألفاً من أهل العراق، غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه)[2].

فهذه كتب الشيعة بأرقام صفحاتها تبين بجلاء أن الذين زعموا نصرة الحسين عليه السلام

هم أنفسهم الذين قتلوه ثم ذرفوا عليه الدموع، وتظاهروا بالبكاء، ولا يزالون يمشون في جنازة من قتلوه إلى يومنا هذا...) .

وفي الاتجاه نفسه يذكر الكاتب السلفي ماجد بن عبد الرحمن الفريان في موقع (صيد الفوائد) ما نصه: (والذي لا يعلنه الرافضة هو أنهم خذلوا الحسين رضي الله عنه عندما قدم عليهم الكوفة، وخذلوا قبله ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب حتى قتله ابن زياد، فيعاقبون أنفسهم في هذا اليوم حزناً عليه، ولتقصيرهم معه).

ويعزف الكاتب عبد المنعم الشحات في موقع (صوت السلف) على الوتر نفسه فيقول: (والحقيقة التي لا مراء فيها أن أسلاف الشيعة قد غروا الحسين - رضي الله عنه -، ثم باعوه بثمن بخس، ثم أمضوا بقية حياتهم يبكون على المقتول ظلماً بكربلاء، ويطالبون بثأره!!).

بالتأكيد لا يحتاج الباحث إلى كثير عناء لرد هذا الادعاء السقيم الساقط وهذه الفرية المحترقة ولكننا نجمل القول في هذا الموضوع بالنقاط التالية:

أولاً: إن القول بأن أهل الكوفة كانوا (كلهم) من شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يقوله من له أدنى معرفة بالتاريخ وأخبار الرجال وصحيح الآثار، فلقد مصرت الكوفة سنة ١٧هـ على يد سعد بن أبي وقاص (ت٥٠هـ) وسكنها خليط من القبائل العربية وأغلبهم من قادة الجيوش ومن الجنود الذين شاركوا في فتح العراق، وكانت غالبية تلك الوجوه شخصيات عرفت بانحرافها عن أمير المؤمنين عليه السلام وتقاسمت في ما بينها خطط الكوفة وإقطاعياتها ومنهم: المغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ)، أبو موسى الأشعري (ت٤٤هـ) ، عمرو بن حريث (ت٨٥هـ)، الأشعث بن قيس (ت٤١هـ)، جرير بن عبد الله البجلي (ت٥١هـ) ، الزبير بن العوام (ت٣٦هـ) ، سماك بن مخرمة وآخرون[٣]. نعم، لا يخفى أيضاً أن الكوفة حوت بين جنباتها كثيراً من الشخصيات المعروفة بولائها لأمير المؤمنين عليه السلام توزعت على قبائل معروفة كقبيلة مذحج والأزد وبني أسد وبني تميم وغيرها.

ثانياً: لقد مرت الكوفة بين عامي (٤٠ – ٦٠) للهجرة بمرحلة قاسية عاشتها قبائل الشيعة ورموزها وشخصياتها أبان حكم معاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ) حيث وضعت الشام في سلم أولوياتها تحييد شيعة الكوفة عن المسرح السياسي في العالم الإسلامي فقامت

الدولة الأموية بتدابير قاسية ضد شيعة العراق المعروفين بولائهم وإخلاصهم، فقد روى الهيثمي (ت٨٠٧هـ)[٤] قائلاً: (كان زياد ـ والي معاوية ـ يتبع شيعة علي فيقتلهم، فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال: اللهم تفرد بموته فان القتل كفارة. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)، ولعل هذه الوثيقة التي رواها ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)[٥] تغني عن وصف أحداث تلك الحقبة، قال: (وروى أبو الحسن علي بن محمد المدائني في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدُّ الناس بلاءً حينئذ (أهل الكوفة) لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام (وإن لم يكن منهم)، فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم ..).

وهكذا لما قدم مسلم بن عقيل الكوفة سنة (٦٠ للهجرة) لم يكن في الكوفة من الشخصيات الشيعية المخلصة إلا النزر القليل فإن معظمهم إما قتل أو شرد أو ألقي في غياهب السجون (كالأصبغ بن نباتة المجاشعي (ت بعد سنة ١٠٠هـ) وميثم التمار (ت٦٠هـ)).

ثالثاً: لو تتبعنا الشخصيات التي قاتلت الحسين في كربلاء، وقمعت انتفاضة مسلم بن عقيل في الكوفة، لا نجد فيها شخصاً واحداً معروفاً بولائه لأهل البيت عليهم السلام، وأبرز هذه الشخصيات:

عمر بن سعد بن أبي وقاص (قائد الجيش ومن عائلة معروفة ببعدها عن أهل البيت)، شمر بن ذي الجوشن الذي قال في الحسين: (يعبد الله على حرف!)[٦]، شبث بن ربعي الذي قال: (أنا أول من حرر الحرورية!)[٧] يعني الخوارج، حجار بن أبجر (كان من جلاوزة معاوية)، كُثير بن شهاب (كان عثمانيًا يقع في علي بن أبي طالب ويثبط الناس عن الحسين)[٨]، محمد بن الأشعث الكندي وأخوه قيس (ناصبيان معروفان)، عمرو بن حريث المخزومي (صحابي عثماني الهوى)، مسلم بن عمرو الباهلي (من جلاوزة يزيد بن معاوية)، القعقاع بن شور الذهلي (من جلاوزة معاوية)، عمرو بن الحجاج الزبيدي (وصف الحسين وأصحابه بالمارقين)[٩]، عروة

(عزرة) بن قيس الأحمسي (منحرف من أصحاب خالد بن الوليد)، الحصين بن نمير السكوني (من كبار جلاوزة ومجرمي يزيد).

المدرسة السلفية: خروج الحسين كان فيه فتنة ومفسدة!

اجتمعت كلمة السلفيين خصوصاً في الأعصار المتأخرة على تكريس جهد إعلامي (أموي) فاعل ضد ما قام به الإمام الحسين عليه السلام من نسف لمشروعية الدولة الأموية وإسقاط لرموزها ونظرياتها، فزعموا في أدبياتهم أن خروج الإمام الحسين عليه السلام كان فتنة ومفسدة، ولم يكن فيه مصلحة لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأن الإمام الحسين عليه السلام فرق جماعة المسلمين، وخرج على إمامه الشرعي وخليفة المسلمين!!

يقول ابن تيمية: (الأب الروحي للسلفيين)[10] ما نصه: (ولم يكن في خروجه مصلحة لا في دين ولا في دنيا، وكان في خروجه وقتله من (الفساد) ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده!).

وإلى النتيجة نفسها يتوصل الكاتب السلفي (جمال البليدي) والداعية السلفي (عثمان الخميس) في موقع (شبكة المنهج) السلفية، والكاتب السلفي يوسف العش في كتابه (الدولة الأموية)، حيث ينقل البليدي عن أبي سعيد الخدري قوله للإمام الحسين عليه السلام: (اتق الله وألزم بيتك ولا تخرج على إمامك)!!، وينقل عن ابن عمر قوله للحسين: (لا تفرق جماعة المسلمين)!!

ولعل أقسى العبارات ما ساقه الكاتب السلفي محمد الخضري في كتابه[11] حيث قال: (إن الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا ..) (نقلها عنه صالح الورداني في كتابه[12].

وفي الحقيقة فإن هذا التهويل الإعلامي يعد من أخطر وأعجب تناقضات المدرسة السلفية وما أكثرها! فهم مع إيمانهم بحديث: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) إلا أنهم لا يتورعون أن ينسبوا سيد شباب الجنة إلى الفتنة والمفسدة وشق عصا المسلمين! وفي المقابل يخرجون الشخصيات المنحرفة عن أهل البيت كابن عمر والخدري على أنها شخصيات متعقلة وملتزمة بالسنة الصحيحة لجده صلى الله عليه وآله!! فأي أمة تلك التي جعلت عاليها سافلها، ونقضت بيدها غزلها من بعد قوة أنكاثاً؟!

أفٍ لهم ولما يعبدون من دون الله!

المدرسة السلفية وتلميع صورة يزيد!

لا تخفي كثير من الخطوط في المد السلفي المعاصر ميلها الأعمى لرموز وشخصيات الدولة الأموية حتى نحو يزيد بن معاوية الذي شهد العالم له بالفسق والظلم وإماتة السنة وانتهاك الحرمات، فبعض السلفيين يرى في يزيد حاكماً شرعياً محمود السيرة ممدوح الذكر وهو - عندهم - أمير المؤمنين بامتياز!!

و حتى تتضح الصورة أكثر ننقل لكم فقرات من موضوع (أمير المؤمنين يزيد بن معاوية) الذي نشره (الموقع الإسلامي) السلفي:

(يزيد بن معاوية – رحمه الله – لم يكن بذلك الشاب اللاهي، كما تصوره لنا الروايات التاريخية الركيكة؛ بل هو على خلاف ذلك، لكن العجب في المؤلفين من الكتاب الذين لا يبحثون عن الخبر الصحيح، أو حتى عمّن يأخذوه ، فيجمعون في هذه المؤلفات الغث والسمين من الروايات والكلام الفارغ الملفق، فتراهم يطعنون فيه فيظهرون صورته ويشوهونها، بأبشع تصوير.)!

ثم يبدأ الكاتب بالحديث عن سيرة يزيد قائلاً:

(وكان وحيد أبيه، فأحب معاوية رضي الله عنه أن يشب يزيد على حياة الشدة والفصاحة فألحقه بأهل أمه ليتربى على فنون الفروسية، ويتحلى بشمائل النخوة والشهامة والكرم والمروءة، إذ كان البدو أشد تعلقاً بهذه التقاليد.)!

ويرفع الكاتب الأموي السلفي سيده يزيد إلى مكان أعلى من الصحابة قائلاً:

(أن مجرد موافقة عدد من كبار الشخصيات الإسلامية، من أمثال عبد

الله بن الزبير وعبد الله ابن عباس وابن عمر وأبي أيوب الأنصاري، على مصاحبة جيش يزيد في سيره نحو القسطنطينية فيها خير دليل على أن يزيد كان يتميز بالاستقامة، وتتوفر فيه كثير من الصفات الحميدة، ويتمتع بالكفاءة والمقدرة لتأدية ما يوكل إليه من مهمات؛ وإلا لما وافق أمثال هؤلاء الأفاضل من الصحابة أن يتولى قيادتهم شخص مثل يزيد)!!

ويواصل الكاتب عرض التراجيديا الأموية قائلاً:

(يزيد رحمه الله قد شوهت سيرته .. تشويهاً عجيباً، فنسبوا إليه شرب الخمر والفجور وترك الصلاة وتحميله أخطاء غيره دونما دليل)!!

و يرسم لنا الكاتب صورة للعلاقة بين يزيد وأهل البيت لم نجدها حتى في الأحلام! فيقول:

(ولم يقع بين يزيد وبين أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعكر العلاقة والقرابة بينهما سوى خروج الحسين وبعض أهله ومقتلهم على يد أهل العراق بكربلاء ومع هذا فقد بقيت العلاقة الحسنة بين يزيد وآل البيت ... أما ما لفقوه بيزيد من أن له يداً في قتل الحسين .. فهذا لم يقل به أحد وإنما هو من تلبيس الشيطان على الناس وإتباعهم للهوى والتصديق بكل ما يرويه الرافضة من روايات باطلة تقدح في يزيد ومعاوية)!!

ويقفز الكاتب إلى الفصل الأكثر ضحكاً من هذا العرض المسرحي فيضع يزيد ضمن خانة الزهاد وأهل التقشف من الصحابة والتابعين فيقول:

(وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على تقشفه وعظم منزلته في الدين وورعه قد أدخل عن يزيد بن معاوية في كتابه الزهد ....وهذا يدل على عظم منزلته – أي يزيد بن معاوية - عنده حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم) .

أقول: لو لم يكن في التراث السلفي المعاصر إلا هذا النص لكفاه خزياً وعاراً وسقوطاً في وحل الافتراء، والتزييف، وطمس الحقائق، والاستخفاف بعقول الناس ومشاعرهم، والتردي في أحضان المدرسة الأموية بكل ما تمثله من رمزية للسقوط والانحدار الجاهلي، وإن من هوان الدنيا على الله تعالى أن نقف اليوم لنثبت للسلفيين فسق يزيد بن معاوية (أخزاه الله) وما ثبت عنه من كفر وانحراف وكيد بالإسلام وأهله ومحاباة لأهل الشرك

والضلالة:

أولاً: شهادة بعض المؤرخين والعلماء من أهل السنة بحق يزيد:

- الحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) قال: (وكان ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرة، فمقته الناس. ولم يبارك في عمره. وخرج عليه غير واحد بعد الحسين)[١٣].

- الحافظ العيني (ت٨٥٥هـ) في معرض حديثه عن الصحابة الذين شاركوا في فتح القسطنطينية قال: (الأظهر أن هؤلاء السادات من الصحابة كانوا مع سفيان [بن عوف] ولم يكونوا مع يزيد بن معاوية، لأنه لم يكن أهلاً أن يكون هؤلاء السادات في خدمته[١٤]. وقال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد، لأنه أول من غزا مدينة قيصر. انتهى. قلت: أي منقبة كانت ليزيد وحاله مشهور؟..).

- الحافظ المناوي (ت١٠٣١هـ) قال في سياق الحديث أيضاً عن حديث القسطنطينية:

(لا يلزم منه كون يزيد بن معاوية مغفوراً له لكونه منهم، إذ الغفران مشروط بكون الإنسان من أهل المغفرة ويزيد ليس كذلك لخروجه بدليل خاص، ويلزم من الجمود

على العموم أن من ارتد ممن غزاها مغفور له، وقد أطلق جمع محققون حل لعن يزيد به حتى قال التفتازاني: الحق أن رضى يزيد بقتل الحسين وإهانته أهل البيت مما تواتر معناه وإن كان تفاصيله آحاداً فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه)[١٥].

- العلامة الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): (لقد أفرط بعض أهل العلم فحكموا بأن الحسين رضي الله عنه باغ على الخمير السكير الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة، يزيد بن معاوية لعنهم الله! فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود، ويتصدع من سماعها كل جلمود!)[١٦].

- الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) وهو من متعصبي أهل السنة ومن معتدلي السلفية!!، قال: (وقد جزم بكفره وصرح بلعنه جماعة من العلماء منهم: الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي وسبقه القاضي أبو يعلى، وممن صرح بلعنه الجلال السيوطي عليه الرحمة، وفي تاريخ ابن الوردي وكتاب الوافي بالوفيات أن السبي لما ورد من العراق على يزيد خرج فلقي الأطفال والنساء من ذرية علي والحسين رضي الله تعالى عنهما والرؤوس على أطراف الرماح وقد أشرفوا على ثنية جيرون فلما رآهم نعب غراب فأنشأ يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت
تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل
فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني أنه قتل بمن قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر كجده عتبة وخاله وليد بن عتبة وغيرهما وهذا كفر صريح فإذا صح عنه فقد كفر به...)[١٧].

ثانياً: بعض الروايات المسندة في مخازي يزيد بن معاوية:

- روى الطبري بسند حسن عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أن يزيد بن معاوية أمر عبيد الله بن زياد (أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده)[١٨].

- روى الهيثمي عن الضحاك بن عثمان قال: خرج الحسين بن علي إلى الكوفة ساخطاً لولاية يزيد بن معاوية فكتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد وهو واليه على العراق انه قد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلاد وابتليت به من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تستعبد العبيد[١٩].

قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن الضحاك لم يدرك القصة) .

- روى ابن سعد بأسانيده عن مجموعة من الرواة قالوا : (لما وثب أهل المدينة ليالي الحرة ، فأخرجوا بني أمية عن المدينة ، وأظهروا عيب يزيد بن معاوية وخلافه ، أجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت ، وقال : .. والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ...)[٢٠].

- وعن الصحابي معقل بن سنان أنه قال بحق يزيد بن معاوية : (رجل يشرب الخمر وينكح الحُرم ...)[٢١].

المدرسة السلفية تنكر كرامات الحسين عليه السلام!

يقول الكاتب السلفي د. علي محمد الصلابي في كتابه (الدولة الأموية) في فصل يتحدث فيه عن عاشوراء: (إن الشيعة بالغوا في نقل أخبار تلك الحادثة، وامتلأت كتب التاريخ بحوادث عجيبة قيل إنها وقعت إثر مقتل الحسين ، من احمرار الأفق، وتدفق الدماء من تحت الحجارة، وبكاء الجنّ ، إلى غير ذلك من الخيال الذي نسجته عقول الشيعة يومئذ، وما زالوا يردّدونه إلى اليوم تضخيماً لهذا الحادث على حساب غيره من الأحداث الأخرى، وإن الذي يدرس أسانيد تلك الأخبار والرّوايات لا يرى إلا ضعفاً هالكاً، أو مجهولاً لا يعرف أصله أو مدلِّساً يريد تعمية الأبصار عن الحقائق .... وقال ابن كثير: ولقد بالغ الشِّيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة وكذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم، وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وإن أرجاء السماء احمرّت، ... وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم إلى

غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء).

ويورد (الموقع الإسلامي) السلفي مقالاً بعنوان (قصة مقتل الحسين) جاء فيه: (وأما ما روي من أن السماء صارت تمطر دماً، أو أن الجدر كان يكون عليها الدم، أو ما يرفع حجر إلا ويوجد تحته دم، أو ما يذبحون جزوراً إلا صار كله دماً فهذه كلها أكاذيب تذكر لإثارة العواطف ليس لها أسانيد صحيحة).

وعجباً للنزعة الأموية المفرطة التي منعت هؤلاء الكتاب والباحثين عن التأمل في الآثار، وما رواه الحفاظ الأثبات، وأصحاب السير والتاريخ، من صحيح المرويات، ومستفيض النقل عن كثير من تلكم الكرامات التي من المؤكد أن التاريخ وصفحات الزمن ألقت بالكثير منها في طيات النسيان وما وصل إلينا منها عبر النقل إلا أقل القليل، ولكي نزيل بعضاً من الضباب عن تلك العيون الأموية ننقل لهم هذه الآثار التاريخية الصحيحة في ما ورد من كرامات للحسين عليه السلام:

أولاً: روى الهيثمي: (عن أبي رجاء العطاردي قال: لا تسبوا علياً ولا أحداً من أهل البيت فان جاراً لنا من بلهجيم (محلة بالبصرة) قال: ألم تروا إلى هذا الفاسق الحسين بن علي قتله الله، فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)[٢٢].

ثانياً: (عن دويد الجعفي، عن أبيه قال: لما قتل الحسين انتهبت جزور من عسكره فلما طبخت إذا هي دم. رواه الطبراني ورجاله ثقات)[٢٣].

ثالثاً: وفي الزوائد أيضاً: (عن الزهري قال: قال لي عبد الملك: أي واحد أنت إن أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين؟ فقلت: لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط. فقال لي عبد الملك: إني وإياك في هذا الحديث لقرينان. رواه الطبراني ورجاله ثقات)[٢٤].

رابعاً: وفيه أيضاً: (وعن الزهري قال: ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلا عن دم). (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)[٢٥].

خامساً: وفي نفس المصدر: (عن أم حكيم قالت: قتل الحسين وأنا يومئذ جويرية فمكثت السماء أياما مثل العلقة. (رواه الطبراني ورجاله إلى أم حكيم رجال الصحيح)[٢٦].

سادساً: (وعن أم سلمة قالت: سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي. رواه

الطبرانـي ورجاله رجـال الصحيح . وعن ميمونـة قالت : سـمعت الجـن تنوح على الحسـين بن علي . (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)[٢٧].

سـابعاً: روى الذهبي قـال: (قال [أبو الحسـن] المدائني (صدوق)، عن علي بن مدرك (ثقة من رجال الصحيح) ، عن جده الأسود بن قيس (من رجال الصحيح) قال: احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشـهر، يرى فيهـا كالدم ... وقال هشـام بن حسـان (من رجال الصحيح) ، عن ابن سـيرين (من رجال الصحيح) قـال : تعلم هذه الحمـرة في الأفق مم؟ هـو من يوم قتل الحسين)[٢٨].

وهكذا فإن المدرسة السلفية الحديثة بنظرتها، وطريقة عرضها لأحداث كربلاء، وأسـلوب التعاطـي مع الإمام الحسـين عليه السلام وشـيعته، تؤكـد لـكل باحـث ومحقـق أنهـا تمثـل (وزارة الإعـلام الأمويـة) التـي تغـذي فكـر التطرف، والعصبيـة المذهبيـة، ولغـة الإقصـاء والتكفير في كثير من البلدان الإسلامية، كما كانت الدولة الأموية في ما مضى من التاريـخ مركـز الثقل للنواصـب، وأهل الزيـغ والضـلال الذيـن طالمـا ضربوا بمعاول الهدم أركان الإسلام ليهدموها ... وما أفلحوا ■

---

(١) ابن تيميّة: حياته – عقائد، صائب عبد الحميد، ص٢٥.
(٢) أعيان الشيعة ١:٣٤.
(٣) تاريخ الكوفة للبراقي ص١٦٠.
(٤) في مجمع الزوائد ٦/٢٦٦.
(٥) في شرح نهج البلاغة ١١/٤٤.
(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٣٠٢.
(٧) تاريخ ابن خياط ١٤٤.
(٨) فتوح البلدان ١/٣٢٢.
(٩) الطبري ٤/٣٣١.
(١٠) في كتابه منهاج السنة : ٢/٢٤١.
(١١) تاريخ الأمم الإسلامية ج٢.
(١٢) مدافع الفقهاء ص١٤.
(١٣) فـي سـير أعـلام النبلاء ٤/٣٧.
(١٤) عمدة القاري ١٤/١٩٨.
(١٥) في فيض القدير ٣/١٠٩.
(١٦) في نيل الأوطار ٧/١٤٧.
(١٧) فـي تفسـيره روح المعانـي ٢٦/٧٨ بحـق يزيـد.
(١٨) تاريخ الطبري ٤/٢٥٨
(١٩) في مجمع الزوائد ٩/١٩٣.
(٢٠) في الطبقات ٥/٦٦.
(٢١) في الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/٢٨٣.
(٢٢) في مجمع الزوائد ٩/١٩٦.
(٢٣) في الزوائد ٩/١٩٦.
(٢٤) في الزوائد ٩/١٩٦.
(٢٥) في الزوائد ٩/١٩٦.
(٢٦) في الزوائد ٩/١٩٦.
(٢٧) في الزوائد أيضاً ٩/١٩٩.
(٢٨) في تاريخ الإسلام ٥/١٤.

قالوا في الحسين..

«لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أن الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلابد لها من اقتفاء سيرة الإمام الحسين».

غاندي، محرر الهند

«إن كان الإمام الحسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن فالعقل يحكم أنه ضحى فقط لأجل الإسلام».

جارلس ديكنز
الكاتب الإنجليزي المعروف

«على الرغم من ان القساوسة لدينا يؤثرون على مشاعر الناس عبر ذكر مصائب المسيح إلا أنك لا تجد لدى أتباع المسيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجده لدى أتباع الحسين عليه السلام. ويبدو ان سبب ذلك يعود إلى ان مصائب الحسين لا تمثل إلا قشّة أمام طود عظيم».

توماس ماساريك

«يقال في مجالس العزاء إن الحسين ضحى بنفسه لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام ولم يرضخ لتسط ونزوات يزيد، إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة، لنتخلص من نير الاستعمار، وأن نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة».

موريس دو كابري

«حينما جنّد يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء، كانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أما أنصار الحسين فكانوا يقولون لو أننا نقتل سبعين مرة، فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى أيضاً».

جورج جرداق
العالم والأديب المسيحي

«لو كان الحسين منّا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبر، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين».

أنطوان بارا، مسيحي

«هذه التضحيات الكبرى من قبيل الشهادة الإمام الحسين رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد وتذكر على الدوام».

تاملاس توندون
الهندوسي والرئيس السابق للمؤتمر الوطني الهندي

«وهل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟ وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها».

ادوارد براون، المستشرق الإنجليزي

«لقد قدم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية، وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة».

الآثاري الإنكليزي وليم لوفتس

رمزية نهر الفرات في القضية الحسينية

حيدر الجد •

حازت أرض العـراق طبيعة ضخمة ثروات ضخمة جعلتها محطاً لأنظار الشـعوب ومنذ عهد ممعن بالقدم فقـد وهبها الله جـل وعلا مـن الخيرات ما لم تحتويهـا غيره من الأقطار، وبفضل تلك الخيـرات فقد تكاملـت عوامل صنع الحضارة على هذه الأرض المقدسـة ومن هذه العوامل وفـرة المياه التي تعد العمود الفقري لأي نشاط بشري.

وقـد ارتبـط بالعـراق اسـما نهريـه الخالدين دجلة والفرات حيث أصبح اسـم بـلاد النهريـن ووادي الرافدين مصطلحاً معروفـاً يطلق على العراق، بل شـاع ذكر الرافديـن قديمـاً وحديثـاً ليصبح اسـمه Mesopotamia فـي اللغـة الإنكليزيـة مرادفاً لاسم العراق.

ومن هذين النهرين، نهر الفرات الذي اكتسـب صفة القداسـة عند الأديان عامة والشيعة بشكل خاص

فقد ارتبط هـذا النهر ارتباطـاً وثيقاً بمدوناتهم خصوصاً تلـك المتعلقة بقضية الحسين عليه السلام فحرمانه عليه السلام من شرب الفرات ولّد فيما بعد حسرة في قلوب المؤمنين.

تبـوّء هذا النهر مكانـاً مميزاً في عالم الأدب، فأصبـح الأديب يشـير إلى فضله تارة و يعاتبه طوراً لعدم شـرب أهل البيت من مائه فقد كان يروي من يحل على شاطئه من الواردين والضيوف إلا ضيف حل عنده وسـرعان ما رحـل دون أن يذوقه في يوم قائظ.

الفرات في اللغة

هو كل ماء عـذب ، ويقال ماء فرات، ومياه فرات، والتسـمية وردت في القرآن

الكريم: (وأسقيناكم ماء فراتاً)[1] ويرجع البعض التسمية إلى كلمة أرامية قديمة (فرت) وتعني الخصب والنمو.

عرف الفرات بالعربية باسم الفرات وفي اللغة الأكدية (Pu-rat-tu)، وفي اللغة الآرامية (Prāṯ , Froṯ ܦܪܬ)، وفي اللغة العبرية (פְּרָת Pĕrāṯ)، وفي اللغة الأرمينية (Եփրատ Yeṗrat)، وفي اللغة الكردية (فره آت)، وفي اللغة اليونانية (Ευφράτης Euphrátēs)، وفي اللغة السامرية (Buranun)[2] وكما نرى فالفرات قد عُرف عند أغلب الشعوب مما يدل على شهرته الواسعة.

الفرات في الأديان:

كما عُرف الفرات على مستوى الشعوب فقد عُرف على مستوى الأديان مما يدل على قداسته ومنزلته المعروفة، فقد جاء في كتاب كنزا ربا المقدس عند الصابئة المندائيين (... صغيراً أنا بين الملائكة الأثريين، طفلاً أنا بين النورانيين، ولكني أصبحت عظيماً لأني شربت من ثغر الفرات)[3].

أما في النصوص العبرية القديمة فنجد تقديساً لنهر الفرات، ومن أجل ذلك فقد استقرت على ضفافه تجمعات يهودية منذ العصور القديمة، وفي الديانة المسيحية نجد (الإنجيل) أو ما يسمى بالكتاب المقدس يقرن اسم نهر الفرات باسم (النهر الكبير)، وجعله نهراً من أنهار جنة عدن[4].

أما الإسلام فقد ميّز الفرات واصطفاه فجعله نهراً من أنهار الجنة، فقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: (إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة وأجراها على الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معائشهم وذلك قوله تعالى: (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض ونحن على ذهاب به لقادرون))[٥].

الفرات وأئمة أهل البيت عليهم السلام

حث أئمة الهدى عليهم السلام شيعتهم ومحبيهم على إتيان نهر الفرات وقد بينوا عليهم السلام فضله من جهتين، الأولى الاغتسال بمائه، والثانية الشرب منه، ولعل من جملة الأسباب التي جعلت الإمام علي عليه السلام أن يتخذ الكوفة عاصمة له بدلاً عن المدينة هو قربها من نهر الفرات، لذا وقف أمير المؤمنين عليه السلام عليه ذات مرة وقال: (يا أهل الكوفة نهركم هذا ينصب إليه ميزابان من الجنة)[٦]، وعنه مرة أخرى قال: (الفرات سيد المياه في الدنيا والآخرة)[٧].

أما الإمام علي السجاد عليه السلام فقد روي عنه بطريق حكيم بن جبير أنه قال: (إن ملكاً يهبط كل ليلة، معه ثلاث مثاقيل مسك من مسك الجنة فيطرحها في الفرات، وما من نهر في شرق ولا في غرب أعظم بركة منه)[٨].

أما الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام فقد حثّا أتباع أهل البيت على تناوله، بل أمرا عليهما السلام الشيعة بتحنيك المولود بماء الفرات وتربة الحسين، أتراهما عليهما السلام أرادا أن يكون الموالي مرتبطاً بالفرات منذ ولادته، عالقاً بقطراته التي مست جسده منذ يوم الولادة ومع تقدم مراحل العمر ليكون بالتالي مرتبطاً بالحسين الذي مُنع منه ومضى شهيداً عطشاناً بالقرب من ضفافه.

والظاهر إن الإمام الصادق عليه السلام كان أكثر الأئمة إشادة بفضل الفرات، فقد ورد عنه عليه السلام عدداً من الأحاديث الدالة على فضله، منها ما رواه عبد الله بن سليمان بقوله: (لما قدم أبو عبد الله الكوفة في زمن أبي العباس، فجاء على دابته في ثياب سفره، حتى وقف على جسر الكوفة، ثم قال

لغلامه: اسقني، فأخذ كوز ملاح فغرف له به، فشرب والماء يسيل على شدقيه وعلى لحيته وثيابه، ثم استزاده فزاده، فحمد الله ثم قال: نهر ماء ما أعظم بركته، أما إنه يسقط فيه كل يوم سبع قطرات من الجنة، أما لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا الأخبية على حافتيه، أما لولا ما يدخله من الخاطئين ما أغتمس فيه ذو عاهة إلا برء)[٩].

مجرى الفرات في كربلاء قديماً

الظاهر من الأخبار إن نهر الفرات عندما يمر في كربلاء ينشطر إلى شطرين وكلاهما يطلق عليهما الفرات باعتبارهما يتفرعان منه لذا فقد ورد عن يحيى بن زيد أنه لما قُتل أبوه زيد بن علي أراد أن يرتحل فقيل له: إلى أين قال أريد النهرين فقيل له إنها بلدة لا ترتفع فيها راية لعلي قال: بل أريد نهري كربلاء[١٠]. والنهران فرعان يُشتقان من عمود الفرات كانا يجريان قديماً في كربلاء[١١]، ومما يعزز وجود نهرين في كربلاء حين الواقعة ما ذكره الخطيب البغدادي بقوله: (قُتل الحسين بنهري كربلاء يوم عاشوراء)[١٢] ومثله قال الذهبي: (وسار الحسين حتى نزل نهري كربلاء)[١٣]، والظاهر أن أحد النهرين كان مطوقاً تماماً بالعسكر وربما يكون اليوم نهر الحسينية الذي يمر بالقرب من مقام الإمام المهدي عليه السلام، والآخر هو الذي قصده أبو الفضل العباس واُستشهد على ضفافه أي نهر العلقمي الذي اختفت آثاره اليوم.

عطش أهل البيت في كربلاء

لعل التاريخ حدثنا عن سياسة استخدام الماء للضغط على العدو كما في واقعة صفين وذلك لما أمر معاوية جيشه بالحيلولة دون وصول جيش الإمام علي عليه السلام إلى الماء بقوله: (لأمنعهم وروده فأقتلهم بشفار الظمأ، فقال له عمرو بن العاص: خل بين القوم والماء، فليسوا ممن يرى الماء ويصبر عنه، فقال لا والله لا أخلي لهم عنه، فبين له عمرو أنهم لو أرادوا الوصول للماء لوصلوا، فأجابه معاوية :لا أسقيهم قطرة كما قُتل عثمان عطشانا)[١٤]، ولكن التاريخ لم يحدثنا عن استخدام الماء كسلاح ضد العزّل من النساء والأطفال كما جرى في واقعة كربلاء، فقد منع الماء عن معسكر الحسين طيلة ثلاث أيام من أيام الصيف الملتهبة مع ما رافق ذلك من كثافة عسكرية

تجمعت بأسلحتها وعتادها لمحاربة سليل النبوة والخط المحمدي الأصيل، وقد جاء في الرواية جعجع بالحسين حين تقرأ كتابي ولا تنزله إلا بالعراء على غير ماء وغير حصن[١٥]، معنى ذلك إن خطة منع الماء عن الحسين عليه السلام لم تكن آنية أقتضتها ظروف الواقع في كربلاء، بل كانت خطة مدبرة أعدها رجل يعرف أرض المعركة وكيف يحسم الحرب لصالحه فقد دار في خلده إن الحسين سيستسلم بمجرد أن يشكو أمامه العطش طفل أو امرأة ولكن أبيّ الضيم بدد آماله وواجه خطته بروح جهادية عز نظيرها.

الفرات في الشعر

قبل أن نتحدث عن رمزية الفرات في الشعر الحسيني يجب أن ننوه أن الفرات ارتبط بذكر الحسين عليه السلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (إن ابني هذا ـ الحسين ـ يقتل بعدي على شاطئ الفرات فمن زاره واغتسل من الفرات تساقطت خطاياه كهيئة يوم ولدته أمه)[١٦]، وهذا الحديث يضيف للفرات صفة أخرى فالغسل بمائه والتوجه لزيارة الحسين يسقط خطايا الزائر، مما يدل على رجحان اكتمال الزيارة بالاغتسال بماء الفرات.

هام الشعراء بسيد الشهداء وتنوعت قصائدهم في رثائه وتبيان مصيبته التي لم تشبهها مصيبة ولكن قضية حرمانه من ورد الفرات قبل استشهاده عليه السلام وعطش عياله أخذت من الشعراء كل مأخذ بحيث ألهبت كلماتهم وأججت نار قوافيهم، ومنهم الشاعر المعروف عبد الباقي العمري الذي سار من بغداد إلى الكوفة وكان في بعض طريقه راكباً سفينة على الفرات في ليلة مقمرة مع جماعة من أقرانه فنظر إلى ماء الفرات يلمع والحيتان فيه تلمع فأنشأ البيتين الشهيرين:

بعداً لشطك يا فرات فمرّ لا
تحلو فإنّك لا هنيٌّ ولا مري
أيسوغ لي منك الورود وقد
صدر الإمام سليل ساقي الكوثر

وقد سبق عبد الباقي العمري الكثير من الشعراء، ولعل في مقدمتهم دعبل بن علي الخزاعي حينما قال بحضرة الإمام الرضا عليه السلام:

أفاطم لو خلت الحسين مجندلاً
وقد مات عطشاناً بشط فرات

يريد دعبل بذلك أن يذكي نار اللوعة فالشخص الذي يوشك أن يُقتل يُقدّم له الماء قبل قتله، وإن قُتل عطشاناً في صحراء قفرة، فقد يكون الأمر ممكناً لكنما يُقتل ظمأناً بجنب النهر فهذا الأفظع.

أما الآخر فيقول:

ظمآن من ماء الفرات معطشاً
ريّان من غصص الحتوف نقيعا
يرنو إلى ماء الفرات بطرفه
فيراه عنه محرّماً ممنوعا

ويقف آخر ليدعو على الفرات بالغور فيقول:

ويل الفرات أباد الله غامره
وردّ وارده بالرغم ضمآنا
لم يطف حرّ غليلِ السبط باردِه
حتى قضى في سبيل الله عطشانا
فعزّ ان تتلظى بينهم عطشاً
والماء يصدر عنه الوحش ريّانا

إلى غير ذلك من القصائد التي تناولت هذا الموضوع، وختاماً نورد هذه الرواية عن داود الرقي حيث قال: (كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام إذ استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام، ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد)[17] ■

---

(١) سورة المرسلات، آية٢٧.
(٢) www.ugaidaat.com/alfurat_alkhaled.htm
(٣)، (٤) المصدر السابق.
(٥) الطبرسي، مجمع البيان، ١٠٢/٤.
(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٤١/٥٧.
(٧) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص١٠٨.
(٨) المصدر السابق.
(٩) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٨.
(١٠) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠٤.
(١١) الأمين، الموسوعة الشيعية، ٢٩٥/٧.
(١٢) تاريخ بغداد، ١٣٤/١.
(١٣) الذهبي، تاريخ، ١٠/٥.
(١٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٥٨/١٠.
(١٥) ابن شهراشوب، المناقب، ٢٤٦/٣.
(١٦) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٨/٩٨.
(١٧) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١٢.

الإمام الحسين عليه السلام
في شعر الشيخ
محمد آل حيدر

د. سعد الحداد •
مؤسسة آفاق للدراسات والبحوث

ينابيع

الشاعر الشيخ محمد بن جعفر بن باقر بن علي بن محمد بن محمد علي بن حيدر العامري القيسي. المعروف بـ(الشيخ محمد آل حيدر) أو (الشيخ محمد حيدر).

ولد في سوق الشيوخ سنة ١٩٢٧م ونشأ على أبيه ثم ارتحل إلى النجف الأشرف ونهل من معين علمائها وأدبائها الأعلام مثل الشيخ محمد تقي الجواهري والسيد إسماعيل الصدر والشيخ علي زين الدين البصري والشيخ محمد طاهر الشيخ راضي والسيد محمد تقي بحر العلوم والسيد محسن الحكيم والسيد الخوئي (رضوان الله عليهم). وكان آية في الذكاء، وعَد من فضلاء الحوزة العلمية.

تنقّل الشيخ بين عدة مدن وكيلاً للمراجع العظام، واستقر به المقام في الحلة الفيحاء سنة ١٩٦٨م ودأب لأكثر من عقدين متحملاً أعباء الوكالة الدينية بكل أمانة وإخلاص مدافعاً عن الحق وناصراً للمظلومين، متخذاً من مسجد محمد بن نما الحلي مقراً له حتى اختطافه من قبل أزلام النظام المباد في آذار سنة ١٩٩١م يوم كانت الحلة تعيش مأساة العصر، مأساة المقابر الجماعية والإعدام العشوائي، فهدم المسجد وغيب الشيخ عن الوجود، لكنه ظل في الضمائر حياً خالداً.

لقد أثنى على الشيخ آل حيدر كثير من العلماء والكتاب والمؤرخين ونعتوه بأوصاف تنم عن حالة وطبيعة ما تحلى به من خلق عالٍ وأدب جمٍّ. أما شاعريته فقد شهدت له المجالس والمنتديات والمهرجانات مذ كان طالباً في النجف وهو في ريعان الشباب يصول في حلباتها شاعراً مبارزاً صقل موهبته وثقّف ملكته

الشعرية بفضل ديمومة تواصله الإبداعي، وقد طرق أكثر أبواب الشعر إلا الهجاء. وهو في شعره فلسف الحياة وتأملها بعين مبصرة وقلب مؤمن لم يجنح فيها نحو القوالب الجامدة والشعور الآيس ولم يألف أغراضاً شعرية بعيدة عن الشرع الإسلامي، فكان شعره مشرق العبارة، رصين الديباجة، رقيق الحاشية، وشعره نابت في الأساس من التزامه الديني، وقد جمع بين السلامة في التفكير والسلاسة في التعبير.

ويتبدى هذا الالتزام في الولاء المطلق لأهل البيت عليهم السلام والعمل بتراثهم الغني والاهتداء بموروثهم في طبيعة ألفاظه ومفرداته وابتعادها عن البذاءة والفحش. وله قصائد كثيرة في مدحهم ورثائهم واستنهاض قائمهم عليه السلام تفصح عن درجة الارتباط الروحي بهم والسير على خطاهم عليهم السلام. لكن الوقوف عند الإمام الحسين عليه السلام له بعد آخر بما يمثله من مستودع استلهام لا ينفد من العطاء الروحي ومحرك فاعل إلى نبذ الانحطاط القيمي والفكري داخل المجتمعات والأخذ بيدها نحو شاطئ الأمان والإيمان.

والشعر الحسيني شعر ولائي مطلق لقيم السماء التي دافع أبو الأحرار عليه السلام عنها. وقد تعامل الشاعر آل حيدر مع القضية الحسينية بعاطفة جياشة وعقل متنور، فالحسين في ضميره أبداً حبٌّ مورق يدفع به نحو مسارات الحرية والعدل فليقول:

بستان حبك في الضمائر مورق
وله من القرآن أعذب مورد
في كل ثغر من جهادك قبلة
يمتص حمرتها دم المتهجد
وعلى خطوط العبقرية والفدا
يرمي فنونه في هتاف المولد

وفي قصيدة (دم الحسين) وظف الشاعر مفردة (الدم) بتكرارها مرات عديدة وهبت النص دفقاً من المعاني السامية المؤثرات التي ترسم صوراً لصرخات متتالية تندد بالجريمة النكراء، فدم الحسين لسان حق يصدح به المصلحون على مدى الدهر، وصرخة تجلجل بالحق ونور للمهتدين وناطق للبطولة والفداء..

ضحية المجد فوق الأرض قد سكبا
دم الحسين ـ فكان ـ النور والذهبا
دم الحسين لسان الحق أنطقه
سيف وقد حركته أنصل وظبا

دم الحسين جرى ما استنطق التربا
بكيف يخلد حر للعلا وثبا
دم الحسين لسان المصلحين فكم
به من الدهر حق ضائع طلبا
دم الحسين أرانا غيب كل دم
حرّ به نفهم التاريخ والحقبا

واستخدم الشاعر أسلوب التأمل بعيداً عن السرد القصصي لواقعة كربلاء متخذاً من الحكمة باباً للوصول إلى خلق حالة من الثقافة الجديدة والوعي لدى هذا الجيل في عقده للمقارنة بين حالة وحالة من جهة وإبداء التساؤلات المنطقية التي يصل مع إجاباتها إلى حقيقة هو يسعى للوصول لها فهي هدفه الرئيسي في بث أفكاره المستمدة من تاريخ حافل بالبطولة والمواقف الصلبة لأهل البيت عليهم السلام.

كُنْه هذا الوجود ما زال سراً
غامضاً ما اهتدت إليه العقول
كم رعيل مضى من الناس للموت
وكم بعده سيمضي رعيل
كم معافىً أمامنا صرع الموت
مراراً وكم يعيش العليل
قد يموت الصحيح بين الأطباء
ويحيى مريضنا المهمول
ظاهرات الحياة أكثر مما
قد رأينا ومالها تعليل
كل رزء يهون عند ذويه
عندما يذكر المصاب المهول
فمصاب الحسين في كل قلب
ألمٌ كامن ودمع يسيل
فهو الثائر الذي علّم الناس
دروساً آثارها لا تزول
ما رأينا مثل الحسين شهيداً
يرشد التائهين وهو قتيل

ثورة حطمت عروش الطوا
غيت تباعاً فكل طاغ ذليل
وستحيي الأجيال ذكراه حتى
إن توانى جيل سينهض جيل
كلما زادت الثقافة فينا
يتسامى لشخصه التبجيل

لقد اتخذ الشاعر من قضية الإمام الحسين عليه السلام منطلقاً لرفض الظلم والطغيان الذي تعرض له المؤمنون في العراق وغيره من الدول الإسلامية، ولم يقتصر على غاية الرثاء الخالص إلا في حدود ضيقة، فقضية الإمام الحسين عليه السلام قضية إنسانية تعامل معها الشاعر تعاملاً عقلياً ممزوجاً بروح الإيمان الخالص، فهو في رسالته إلى الإمام الحسين عليه السلام يشرح حال العراقيين إبان عقد الثمانينيات وما تعرضوا له من ذل وهوان على يد الطاغية وأزلامه:

يا بن الرسول إليك خير رسالة
مشفوعة بمدامع المتوسل
بحرارة الطفل الذبيح على يد
يك تزدهي برسالة وبمرسل
قسماً لقد ضاقت بنا آفاقنا
والصبر أردانا بقاع محمل
يشكو الأشل إلى الأشل وربما
فات الأوان على الرعيل العزّل
ولقد صبرتم في البلاء على الهدى
ووردتم الأحداث أعذب منهل
لا تستطيع ولم تجب دعواتنا
حتامَ أكبدنا بنار تصطلي
قسماً بطفلك ترتوي من نحره
لو أنها عظمت بموقف مبتلي
عظم البلاء وليس ثمة كاشف
للضرّ ندعوه بكل مؤمل
لذنا بكم وقد استجرنا عندكم
ولديكم عهد تحدر من علي
إنا ظلمنا والظلامة لم تزل
لكم شعاراً في الزمان الأول

فهذا التوسل وشرح الحال الصادر عن الشاعر موجه إلى من كانت مظلوميتهم شعاراً أزلياً فلابد من اللوذ بهم لكشف الضر بعدما اصطلى الشاعر وقومه من أليم العذاب وضاقوا ذرعاً ببلاء الحكام.

وتتمثل رؤية الشاعر آل حيدر بفلسفته للموت والحياة بالوعي والهدوء في معالجة القضايا العقائدية ولاشك أن قضية الإمام الحسين واحدة من تلك القضايا الجوهرية التي مثلت المسار الصحيح للمؤمنين ورسمت المنهج الصائب للأحرار عبر الأجيال فبين وجدانية الشاعر وعقلانيته يخلق الإبداع صوراً متجددة وأسلوباً رائقاً من الشعر وخير دليل قصيدته العينية التي تذكرنا بقصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري (فداء لمثواك من مضجع) وقد يكون الشيخ قد جارى هذه القصيدة فأبدع في مجاراته لها وضخ فيها من القيم السامية بصور حافظت على نسقها المعرفي وصولاً إلى الغاية والحقيقة باعتبار أن الإمام الحسين عليه السلام هو المنار المشع المهتدى به..

تبسمت للقدر المفزع
كما ابتسم الطفل للمرضع
وآمنت أن حياة الإبا
بغير الشهادة لم تطبع

ومن عالم الذرّ أربت علاك
على عالم النور في مطلع
وشع بأرض الطفوف هدى
لأكرم مستلهم ألمعي
وغناك حتفك في آية
تشع بقرآنك المبدع
ظمئت إلى الكأس كأس الجدود
فكان رواؤك بالمصرع
وأطلقتها نغمة من جراح
الكرامة في عالم أوسع
جهادك ملئ فم التضحيات
ختمت به آية المطلع
وليس غريباً إذا ما بكتك
ملائكة الأفق في أدمع
فأنت بقية ذاك الرسول
بمرأى الإمام وفي المسمع
وحقاً فإنك للغابرين
وللمقبلين على مشرع
وقبرك أضحى بكل العصور
مناراً يشع على مسفع
به نحتمي وعليه نطوف
فمن ساجدين ومن ركع
ونزرع آمالنا في ثراه
وبورك سفحك من مزرع
وإنا بكم ولكم عزنا
إذا جمع الناس في مجمع
ظممنا ولاكم بأكبادنا
كصدر على سره المودع
أبا الشهداء الكرام الأباة
سلام محبّ على موضع

هـذه وقفة سـريعة على بعـض تراث الشاعر بحق الإمام الحسين عليه السلام الذي حفل ديوانه بكم وفير من المديح والرثاء آملين في عقد دراسة مفصلة في القريب أن شاء الله والحمد لله رب العالمين ■

صورة قديمة لمنائر العتبة العباسية المقدسة أخذت من شارع صاحب الزمان ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

كتاب "تراجيديا كربلاء"

عرض وتقديم

أحمد سلمان آل طعمة •
كلية الهندسة/ جامعة كربلاء

ينابيع

تحتل القضية الحسينية حيزاً كبيراً في قضايا المجتمعات الإنسانية لما لها من أهمية كبرى في تغيير نفوس الأحرار في العالم عبر تاريخ المجتمعات الحامل بالمتغيرات الفكرية التي قد تطرأ عليه بين الحين والآخر.

ولقد انصبت جهود عدد ليس بالقليل من كتاب ومفكري العالم وبمختلف طوائفهم ونحلهم ولغاتهم أن يضعوا بين أيدي الناس كل ما جنوه من أفكار ورؤى يحاولون انتزاعها من قضية الإمام الحسين عليه السلام ليضعوها في مصنفاتهم التي أصبحت اليوم لا يمكن أن تعد خاصته بعد الثورة المعلوماتية التي هيأت للشرفاء في هذا العالم مناخا خصباً لينهلوا منها ما يريدون بشأن هذه القضية والواقعة الأليمة.

ومن بين من سخر يراعه في عرض القضية الحسينية من منظار اجتماعي وشعبي السيد إبراهيم الحيدري في كتابه (تراجيديا كربلاء) الذي عرض فيه كل ما يتعلق بهذه القضية وتأثيراتها على المجتمع وتأثرها فيه بأسلوب اجتماعي تحليلي للقضايا والمؤثرات التي أصبحت عاملاً مساعداً على بلورة الفكرة الحسينية في المنظور الاجتماعي.

ونحن في هذه العجالة نستعرض فصول الكتاب وما طرحه كاتبه منه في محاولة لعرض النتاج الفكري والاجتماعي وغيرها بأسلوب يتميز للقارئ البحث فيهما مجدداً مبينين بعض النقاط الهامة في الكتاب وكاتبه وموضوعه.

فموضوع الكتاب هو (مأساة كربلاء) التي تصور لنا واقعة الطف الأليمة التي أدت إلى استشهاد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وأهل بيته الكرام على يد الجيش الأموي بقيادة

عبيد الله بن زياد وبإمرة يزيد بن معاوية وبمشاركة ذوي النفوس الضعيفة وأصحاب المصالح والمأجورين من أتباع السلطة الأموية.

وقد وصف لنا مؤلف الكتاب هذه الواقعة وأثرها في نفوس الشعوب الإسلامية عموماً. والشعب العراقي على وجه الخصوص بأسلوب التحليل والنقد الاجتماعي لأي ظاهرة تمس الشعب من خلال الجولة الميدانية التي قام بها مؤلف الكتاب في المناطق المقدسة خاصة بكربلاء، إضافة إلى مدينتي النجف والكاظمية المقدستين.

إن من أهم الموروثات الشعبية في العراق هي مراسيم العزاء الحسيني التي تلعب دوراً مهماً وفعالاً في المعتقدات الروحية في الإسلام، حيث تخلق أجواءاً دينية وثقافية يمكن توظيفها اجتماعياً وسياسياً.

هذه الموروثات الشعبية والشعائر الحسينية وما يرتبط بها من مبادئ وأفكار وقيم وسلوك قد شكلت موضوع هذه الدراسة التي دونت فيما بعد بكتاب مستقل.

يقول مؤلف الكتاب (هذه الشعائر والطقوس وما يرتبط فيها من مبادئ وأفكار وقيم وسلوك تشكل موضوع هذه الدراسة وإطارها التي تخضعها إلى تحليل سوسيو - انثروبلوجي لتوضيح أهميتها الاجتماعية السياسية وعلاقتها بعاشوراء، تلك المأساة التاريخية الدامية التي شكلت في الحقيقة أول تراجيديا في الإسلام، ومن أجل فهم واستيعاب العلاقة الجدلية بينها وبين تطبيقاتها العملية في الواقع الاجتماعي وما أفرزته وتفرزه من مبادئ وقيم وسلوك، وما يرتبط بها من إشكالات معرفية. هذه الشعائر والطقوس التي كونت منبعثاً فياضاً من الحزن الذي لا ينضب، وإرثاً فكرياً وثورياً لا يهدأ). ص٧-٨.

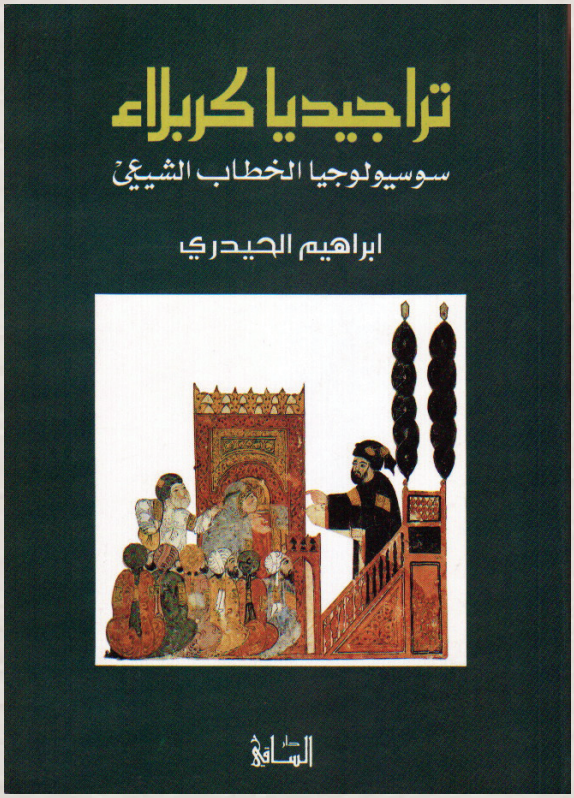

ومن ينظر في هيكلة الكتاب يرى أن كاتبه قد قسمه على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة بأسلوب متوازن وفقاً لمناهج

البحث الأكاديمي.

تناول في مقدمته الغرض الذي جرّه إلى كتابة هذا الموضوع وهو ظاهرة الشعائر الحسينية من وجهة النظر الاجتماعي وعلاقتها بالمجتمع وتأثيرها فيه وتأثرها به، وأوضح أنه استقى مادته العلمية من خلال جمعه لمعلومات ميدانية ومطالعة الكتب المخصصة لذلك، وقد أوضح هدفه لهذه الدراسة قائلاً:

(ثم إن هدفنا الأساس، في الواقع، ليس دراسة هذه الظواهر لذاتها بقدر ما نريد دراسة دوافعها ومعانيها ونتائجها على الفرد والمجتمع عن طريق إخضاعها للتحليل العلمي - الموضوعي، قدر الإمكان ...) ص١٢.

ويرى الباحث مع أهمية ما كتب ويكتب في هذا الموضوع فقد أساء البعض إلى معنى وأهداف ثورة الحسين عليه السلام بما نقل وكتب وتحدث بشعور عالٍ من الحماس والانفعال للدفاع عن الذات قبل معرفتها ونقدها ومن دون عناء كبير في البحث والتدقيق والفرز بين الناضح والفج...). ص١٣ المقدمة.

ثم إنه يعتبر (إن ما نطرحه في هذا الكتاب من أفكار وما نقدمه من نقد وتقييم وتقويم لبعض الممارسات الطقوسية التي تصاحب العزاء الحسيني قد لا يلقى الرضا والقبول بسبب ارتباطه بالشعائر والطقوس الدينية ...). ص١٣ المقدمة.

أما الفصل الأول، فقد استعرض فيه مؤلف الكتاب بإيجاز تاريخنا الاجتماعي في الزمان والمكان محاولاً رسم صورة لبنيته وخصوصياته ومخلفاته المثقلة بالأحزان وعرض الآليات التي رافقته والتي بدأت مع أول صراع في الإسلام حول الإمامة والسياسة.

ثم تناول في الفصل الثاني مراسيم العزاء الحسيني، بدءاً بوقائع معركة الطف بكربلاء هذه المعركة التي تعتبر أول مأساة في الإسلام والتي بقيت حية في ذاكرة المسلمين، وانعكست في شعائر وطقوس عديدة كزيارة الإمام الحسين في كربلاء يوم عاشوراء ويوم الأربعين ومجالس العزاء الحسينية ومسرح عاشوراء (الشبيه) وما إلى ذلك من شعائر العراق وكذلك في الدول العربية والإسلامية.

أما في الفصل الثالث فقد تتبع المؤلف أثر العوامل الدينية والاجتماعية والسياسية في تطور وازدهار العزاء الحسيني في العراق، وقد اعتبر أن جزءاً من تلك العوامل هو الأوضاع الاجتماعية المزرية لدى العوائل الريفية وهجرتهم من الريف إلى المدن، وكذلك تحول عدد من القبائل العربية السنية إلى التشيع. كل هذه العوامل وغيرها جعلت أفراد العشائر أنفسهم منجذبين بأفكار الشيعة والطقوس من قيم ومواقف ضد القهر والظلم والاستغلال.

وفي الفصل الرابع فإنه يستعرض الأهمية الدينية الاجتماعية السياسية للمدن الدينية في العراق وبخاصة العتبات المقدسة كالنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، وكذلك دور السادة والشيوخ والأولياء والطرق الصوفية في العراق وأهميتهم الاجتماعية وتأثير ذلك على المجتمع باعتبارها من العوامل الفاعلة في تكوين العقلية الدينية لدى الأفراد.

أما في الفصل الخامس فنرى أن

الباحث قد خاض في الأبعاد الأساسية لظاهرة العزاء الحسيني، موضحاً أهميتها من الناحية الدينية وفلسفتها الاجتماعية، منطلقاً من العلاقة الجدلية القائمة بين مأساة الألم في كربلاء وبين فكرة الأمل الذي تضمنه استشهاد الإمام الحسين عليه السلام والذي تم بإرادته واختياره ومن أجل تثبيت العقيدة الإسلامية وترسيخ مبادئها عن طريق الثورة ضد الظلم والاستبداد.

وفي هذا الفصل يرى المؤلف إن التمايز الطائفي ذي البعد السياسي المصلحي الذي دفع إليه الحكام والسلاطين أدى إلى حرمان الشيعة في العراق من كثير من حقوقهم، الأمر الذي أدى إلى أن تكون السلطة بيد الأقلية حاول المؤلف أن يحللها ويعرض لبعض الأسباب والنتائج المتعلقة بها.

أما في الفصل السادس فقد تناول المؤلف البعد الفولكلوري الشعبي لمراسيم العزاء الحسيني وبخاصة مواكب العزاء ومسرح عاشوراء (الشبيه) وتحليل الشعر الشعبي كتعبير الحرب ضد الذات المهانة والمضطهدة.

أما في الفصل السابع والأخير فيحاول المؤلف أن يعرض لمحاولات الاستغلال والتشويه التي دخلت إلى مراسيم العزاء الحسيني من قبل أصحاب المصالح والأغراض ـ حسب تعبيره، في الوقت الذي يرى المؤلف بأن هذه المراسيم والشعائر لها صمامات أمان ذاتيه تجعلها بعيدة عن محاولات الاستغلال باعتبارها رمزاً من رموز الرفض والتضحية والفداء.

ثم إن المؤلف يعرج على استغلال بعض الحكومات والجماعات والأفراد والأحزاب إضافة إلى استسلام بعض علماء الدين المحسوبين على الخط الحاكم للعامة من الناس في كثير من الشعائر والممارسات العاشورائية.

ومهما يكن من أمر فإننا في الوقت الذي لسنا بصدد نقد الكتاب، بقدر ما هو مطروح من عرض لمواضيع الكتاب وفصوله فهو يعتبر تحليلاً اجتماعياً من وجهة نظر عالم الاجتماع له أبعاده وخصوصياته، إضافة إلى كونه نقداً للكثير من المواضيع ذات الصلة بالشعائر الحسينية وممارساتها وتطبيقاتها.

غير أننا في الوقت نفسه نرى أن الكتاب يعد نصاً مهجناً من الناحية الفنية، إذ أقحم فيه مؤلفه الكثير من الكلمات غير العربية كتبها بحروف عربية، كان عليه ـ باعتقادنا ـ أما أن يكتبها بحروف أجنبية أو يعربها لكي يتضح معناها، ولغتنا العربية جديرة بإعطاء ما يقابل تلك الكلمات ببداهة تعدد ألفاظها ومعانيها التي لا حصر لها.

وهذا يبدو جلياً لمن يطالع الكتاب ابتداءاً من عنوانه الموسوم بـ (تراجيديا كربلاء) والتي تعني (مأساة كربلاء).

وقد يعزى ذلك التداخل النصي في الكتاب إلى ثقافة مؤلفه، حيث أكمل دراسته في برلين الغربية بعلم الفلسفة ودرّس هناك سنوات عديدة لمادة علم الاجتماع، مما أثر عليه في كتابة النصوص بلغتنا الجميلة.

إضافة إلى اعتماده على العديد من المراجع بلغات أجنبية كان الأجدر أن تكون مراجع ثانوية فضلاً عن تلك المصادر الرئيسية التي لم تُعتمد في هذا الكتاب، نأمل لمن يطالعه الاستفادة منه كمنهج لبحث هذه المواضيع الهامة ■

عبد الله بن يقطر

سفير الإمام الحسين عليه السلام

د. محمد جواد فخر الدين •
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع

لم تهتم المصادر التاريخية أو الرجالية كثيرا بالشخصيات التي قاتلت مع الحسين عليه السلام، واقصد بذلك سواء كتب أهل العامة أو الشيعة على حد سواء، إذ نجد كثير منهم عند محاولة دراسة تفاصيل حياتهم لا نعثر إلا بعض النصوص المتناثرة هنا وهناك، وهي لاشك لا تغني الباحث من أجل تقديم دراسة متكاملة، ولا القارئ بمعلومات قد تخرجه بنهاية المطاف بصوره متكاملة الأطر.

ولعل هذا الأمر راجع إلى جملة أسباب وظروف قد لا تكون خافيه كثيرا عن المختصين في هذا الجانب، فهي لاشك كانت وراءها أيدي كان لها الدور الكبير من أجل إخفاء الحقائق وعدم عرضها على الجمهور لئلا يحدث ارتباكا قد يؤدي إلى نتائج لا يحمد عقباها، إضافة إلى ذلك أسباب أخرى لسنا في مقام التحدث عنها.

ولست هنا أحاول ان أكرس دراستي عن هذه المحاور والمفاصل المهمة بقدر ما يتعلق فيها، لان الحديث عنها يحتاج إلى صفحات كثيرة قد نسترسل بها في المستقبل لأجل اطلاع القارئ على كافة تفاصيل الموضوع، والتي تعتبر أسسا مهمة للانطلاق منها نحو دراسة ثورة الإمام الحسين عليه السلام بكافة مجرياتها وأحداثها.

أقدم نص تاريخي وصلنا عن هذه الشخصية يعود إلى منتصف القرن الثاني الهجري لأبي مخنف لوط بن يحيى (ت١٥٧هـ) الذي تابع كثير من مجريات حادثة الطف، وسجل كثير من المشاهد

التاريخية على الرغم من الفارق الزمني بينه وبين حادثة الطف، لكنه اعتمد على جملة من الرواة لهذه الحادثة، وقد عولت عليها كثير من دراسات المتقدمين وأخص بالذكر منها شيخ المؤرخين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)[١]، الذي دون معظم روايات أبي مخنف في كتابه تاريخ الأمم والملوك، ولولاه لضاعت هذه النصوص من بين أيدينا.

وسجل أبو مخنف نصين تاريخيين مهمين دونهما عن هذه الشخصية، يتعلق الأول بوصول خبر استشهاده إلى الإمام الحسين عليه السلام، والآخر ذكر فيه حادثة استشهاده ومن قتله، ومن المهم القول ان هذين النصين كانا معولا عليهم في كتب التاريخ والمقاتل[٢].

ومن الدراسات المهمة كذلك في هذا المضمار ما سجله لنا الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) في كتابه الإرشاد إذ ذكر فيه خبر إرساله إلى الكوفة لتقصي الحقائق، ثم في مورد آخر ذكر خبر وصول استشهاده إلى الإمام الحسين عليه السلام[٣].

ومن المصادر المهمة كذلك التي دونت بعض المعلومات عنه هو ابن شهراشوب (ت٥٨٨هـ) في كتابه مناقب آل أبي طالب، وذكره في قائمة أصحاب الحسين الذين استشهدوا معه[٤].

لم تحدثنا المصادر كثير عن هذه الشخصية، أو تعرضت لنسبه أو نشأتها، وقد انفرد قطب الدين الراوندي ذكر نسبه في رواية ينقلها عنه بقوله: (ما روي عن عبد الله بن يقطر بن أبي عقب الليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة)[٥]، لكن انفرد السيد البراقي[٦]، والشيخ السماوي[٧] بنسبته إلى حمير. ونقل السيد البراقي[٨] كذلك ان أباه كان خادما عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن خلال تتبعي للمصادر المتقدمة لم أقف على هكذا معلومة إلا عند السيد البراقي ولا اعرف من أين استقاها.

أما المصادر الرجالية[٩] فهي لم تأتي بشيء جديد عنه يمكن من خلالها رسم صورة مقاربة عن كافة ملامح شخصيته، بينما ذكره ابن حجر[١٠] في الصحابة بعنوان عبد الله بن بقطر، مستندا في معلوماته على الطبري.

لكن أغلب المصادر نعتته بلقب رضيع الحسين[١١]، وورد ذكر اسمه هذا كذلك في الزيارة المخصوصة للإمام الحسين عليه السلام في ليلة النصف من شعبان: (السلام على عبد الله بن يقطر رضيع الحسين...)[١٢] واتفقت معظم المصادر على ذلك.

لكن السيد البراقي له رأي أخر لا يتفق مع ما ذكره المتقدمون، إذ يرى ان: (يقطر أباه كان خادما عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت زوجته ميمونة في بيت أمير المؤمنين عليه السلام فولدت عبد الله قبل ولادة فاطمة الحسين عليه السلام بثلاثة أيام، وكانت ميمونة حاضنة له، فلذا عرف عبد الله برضيع الحسين عليه السلام، وإلا فالحسين لم يرضع من غير ثدي أمه فاطمة عليها السلام)[١٣]. ولا أعرف على أي شيء استند البراقي في هذه المعلومات التي أوردها، لكن الشيخ السماوي كان له رأي آخر، قد يكون أكثر دقة على الرغم انه يلتقي مع ما ذكره السيد البراقي في ان الحسين لم يرضعه إلا ثدي فاطمة إذ يقول: (كانت أمه حاضنة للحسين كأم قيس بن ذريح للحسن، ولم يكن رضع عندها ولكنه يسمى رضيعا له لحضانة أمه له. وأم الفضل بن العباس لبابة كانت مربية للحسين عليه السلام ولم ترضعه أيضاً كما صح في الأخبار)[١٤].

هناك تضارب واضح في النصوص الواردة حول الدور الذي قام به عبد الله بن يقطر، إذ تشير بعض الروايات إنه مبعوث الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكة في جواب كتاب مسلم إلى الحسين عليه السلام يسأله القدوم ويخبره باجتماع الناس[١٥].

إذ تشير المصادر أنه لما بلغ الحسين عليه السلام الحاجر من بطن الرمة، أرسله إلى الكوفة، ولم يكن يعلم بخبر استشهاد مسلم ابن عقيل وكتب معه إليهم: (بسم

الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله)[١٦].

فقبض عليه الحصين بن نمير بالقادسية وأرسله إلى عبيد الله بن زياد فسأله عن حاله فلم يخبره، فقال له: اصعد القصر والعن الكذاب بن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي، فصعد القصر فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إليكم لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعي ابن الدعي، فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه وبقي به رمق، فأتاه عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه بمدية، فلما عيب عليه، قال: إني أردت أن أريحه[١٧].

ولا يوجد اتفاق واضح بين المصادر حول مبعوث الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقيل هل هو عبد الله بن يقطر، أو

قيس بن مسهر الصيداوي[١٨]، إلا أن ابن شهرآشوب له رواية أخرى ذكر أن عبد الله كان رسول مسلم إلى الحسين عليه السلام، وأن مالك بن يربوع التميمي أخذ الكتاب منه وجاء به إلى عبيد الله بن زياد فقرأ الكتاب فإذا فيه: (للحسين بن علي، أما بعد: فاني أخبرك انه قد بايعك من أهل الكوفة كذا فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل فان الناس معك وليس لهم في يزيد رأي ولا هوى). وأمر بقتل عبد الله بن يقطر[١٩].

ولما ورد خبر استشهاده ومسلم وهاني إلى الحسين عليه السلام بزبالة فقد أصابه حزن عميق إذ نعاه إلى أصحابه وقال: (أما بعد، فقد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج، فليس عليه ذمام)[٢٠].

وقال القندوزي: إن الإمام الحسين قال في زبالة: (أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حد السيف وطعن الأسنة فليقم معنا وإلا فلينصرف عنا) فجعل

القوم يتفرقون، فلم يبق إلا أهل بيته ومواليه، وهم نيف وسبعون رجلا، وهم الذين خرجوا معه من مكة[٢١].

وتواترت أنباء مقتل مسلم وهانئ وعبد الله، ووصلته رسالة محمد بن الأشعث بهذا الخصوص، فقال الإمام: (كل ما حمّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا)[٢٢].

ومهما يكن من أمر فقد سطرت هذه الشخصية أسمى آيات البطولة في الدفاع عن الإسلام وكلمة الحق، فهو لم يخش الموت وهو يعلم أن حتفه قد جاء، وكان بإمكانه أن يتنصل عن الإمام الحسين في سبيل خلاصه، وقد أعطاه عبيد الله بن زياد الأمان بذلك، لكن آثر البقاء على الموت، لأنه كان يعلم ان بقاءه ووجوده أبد الدهر في قول كلمة الحق، وهو يصعد أعلى القصر ويعلن بصوت عالي أن الحسين هو الإمام الشرعي ويفضح الإنحراف الأموي بكل صوره.

هذه هي معركة الطف بكل معانيها ودروسها وما تركته من الأثر العميق في النفوس، مع مالها من الدروس والعبر التي حوتها هذه الحادثة بكل مفصل من مفاصلها، من حيث الشمولية في جميع نواحيها البطولية والإنسانية ■

---

(١) تاريخ الطبري، ٣٠٠/٤، ٣٥٩.
(٢) ينظر مثلا: تاريخ الطبري، ٣٠٠/٤، ٣٥٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الخوارزمي، مقتل الحسين، ٧٥/٢، ٤٣/٤، ٩٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٢/٨، ٢٠٦، الأمين، لواعج الأشجان، ص٨٦، المجالس الفاخرة، ص٢١٦.
(٣) المفيد، الإرشاد، ٧٠/٢، ٧٥.
(٤) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢٣٣/٣.
(٥) الخرائج والجرائح، ٥٥٠/٢.
(٦) تاريخ الكوفة، ص٣٢٢.
(٧) إبصار العين في أنصار الحسين، ص٩٣.
(٨) تاريخ الكوفة، ص٣٢٢.
(٩) ينظر: الطوسي، الرجال، ص١٠٣، العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، ص١٩٢، ابن داود، الرجال، ص١٢٥، التفرشي، نقد الرجال ١٥٤/٣.
(١٠) الإصابة، ٨/٥.
(١١) ينظر مثلا: ابن الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٧، القطب الراوندي، الخرائج والجرائح، ٥٥١/٢، ابن شهراشوب، المناقب، ٢٣٣/٣، المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٩/٤٤.
(١٢) ابن طاووس، إقبال الأعمال، ٣٤٦/٣، الشهيد الأول، المزار، ص١٥٣-١٥٤.
(١٣) تاريخ الكوفة، ص٣٢٢.
(١٤) إبصار العين، ص٩٣.
(١٥) ابن الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٧-١٧٨.
(١٦) المفيد، الإرشاد، ٧٠/٢.
(١٧) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٧٨، ابن الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٧-١٧٨، المفيد، الإرشاد، ٧٠/٢، الطبرسي، أعلام الورى، ٤٤٦/١-٤٤٧.
(١٨) ينظر المصادر المتقدمة.
(١٩) المناقب، ٢٤٣/٣.
(٢٠) الطبرسي، إعلام لورى، ٤٤٧/١.
(٢١) ينابيع المودة ٦٢/٣.
(٢٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص٥١.

قصيدة: كربـــلاء

محمود محمد حسين الموصلي •

قـالـوا ولاك غـلَّـو ليس يغتفر ... فقلت أنـى وقـد جـاءت به السور
إنـي هويتك جرحاً رحـت أنزفه ... عشقاً تأبد في الأحـشـاء يختمر
يـا بـاب حطِة والأوزار تثقلني ... وفـي رحابك جئت اليوم أعتذر
ويـا جـراح بـنـيّ ضمها جدث ... قد هابه الموت ذعـراً فهو منبهر
كم أسرج الدهر خيلاً من فوارسه ... وأطلق الحقد سهماً راشـه القدر
إذ راح يحشد من أعـوانـه زمـراً ... تلاقح العهر فيها وانقضى الوطر
ما شئت في نعتهم قل غير مكترث ... فهم القرود وهم إن شئت قل بقر
الضالعون بفن الـمـوت مدرسة ... فـي كـل يـوم لهم درس ومختبر
الـوارثـون من الأسـلاف طينتهم ... حيث القلوب حواها الزيغ والكبر
الصانعون مـن الأكـبـاد أوسمة ... زانـوا بها جـيـداً بالعهر تشتهر
طـاروا بأجنحة الأوزار تحملهم ... حيث الخراب وحيث الموت يزدهر
حيث الفتاوى بكفر الناس يصدرها ... الجاهلون بشرع الله هم كفروا
قد قسموا الخلق هذا مؤمن وجبت ... لـه الجنان وذا بالكفر مزدجر
يا ضيعة الدين إذا أزرى به نفر ... مثل السوام ألا قد ساء ما وزروا
يا كربلاء الـدم المهراق أفجعنا ... هول المصاب فتعساً للذي فجروا

اليوم عادوا وسيف الشمر في يدهم ... وفي الرقاب دم من حقدهم خضِر
اليوم عـادوا وثأر الأمس يجمعهم ... دين تقاضوه يوم الطف وابتدروا
يا كربلاء الحكايا النازفات دماً ... لما يـزل يومك الموعود ينتظر
يا أنـتِ يا وطناً تـروي الجراح به ... جذر البطولات كيما يورق الظفر
مجدٌ لـعـزّك يبقى شامخاً أبـداً ... ومـن سـواك لـه أهـل ومقتدر
ومـن سـواك لحمل النائبات إذا ... ما القاع جرحٌ تشظى فيك يستعر
طويته تحت جنح الصبر تصنعه ... فجراً وحولك من أهلين كم سخروا
يا طائراً من رمـاد الموت مبعثه ... حلّق وإن قيل إن المرتقى وعر
هذي السماء فحلق في الذرى شمماً ... وأسطع بها شهباً كي يزهر القمر
قد كحّل الليل جفن الصبح يبعثه ... عـرسـاً تناغم فيه الـنـاي والوتر
واعتق الشمس من أغـلال ظلمته ... كي تمنح الأرض روحاً مسّها الحذر
فيا عـراق الأبـاة النخل قامتهم ... سحائب الخير في دنياك تنهمر
فيك الحسين وفيك الحر يتبعه ... هما جناحاك إمـا راعـك الخطر
سقياً لأرضك من أرض أعوذ بها ... من أن يضام بها شعبٌ ويحتقر

من مزارات كربلاء

مقام تل الزينبية

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

للسيدة الجليلة القدر صاحبة الفضل الصديقة الطاهرة زينب بنت أمير المؤمنين الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام، منزلة عظيمة ومكانة متميزة، وكانت عناية الإمام بها عناية فائقة تختلف عن سائر بناته، فهي عالمة بجميع ما يجري عليها من الشدائد والمحن، وأنها على بصيرة من أمرها. قابلت تلك الرزايا والمحن بجميل الصبر وقوة الإيمان وكامل الإخلاص. وشاء الله أن يخصها بالتعظيم والإجلال.

في حديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله: أنه بكى في ولادتها، فقالت له فاطمة: ما يبكيك يا أبت؟ لا أبكى الله لك عينا، فقال: يا فاطمة اعلمي أن هذه البنت بعدي وبعدك سوف تنصب عليها المصائب والرزايا[1].

كانت إذا زارت أخاها الحسين عليه السلام قام لها إجلالاً وإكباراً وأجلسها في مكانه، ولعمري إن هذه المنزلة عظيمة لزينب لدى أخيها الحسين عليه السلام، وحدث يحيى المازني قال: كنت في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة مدة مديدة وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً الحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين أمامها فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل فسأله الحسن مرة عن ذلك فقال أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب، وورد عن بعض المطلعين أن الحسن عليه السلام لما وضع الطشت

بين يديه وصار يقذف كبده سمع بأن أخته زينب تريد الدخول عليه أمر وهو في تلك الحالة برفع الطشت إشفاقاً عليها[٢].

كانت السيدة زينب عليها السلام من العابدات الزاهدات، وقد أدركت أربعة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكانت شريكة أخيها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته ومحنته، ولا يمكن أن ننسى مواقفها المشهودة وخطاباتها الجريئة في واقعة كربلاء وفي الكوفة وفي الشام، وهل ننسى براعة بيانها المؤثر في الناس، ذلك الذي كساها منقبة ورفع قدرها، وضاعف قواها في تحريك

النفوس، فقد أحدثت تغييراً في المجتمع الأموي، كما أحدثت تخلخلاً لدى السلطات الغاشمة التي أرست قواعدها على الجور والتعسف، فحققت بذلك إنجازات رائعة يشهد لها التاريخ على توالي القرون.

لم تعش السيدة زينب سلام الله عليها طويلاً بعد فاجعة الطف، لكنها ألهبت نفوس الشيعة ألماً وحزناً مستعراً لم يخمد لهيبه، فقد كان لوفاتها صدى حزن عميق. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فاطمة الزهراء عليها السلام سألته وقالت: وما أجر من بكى على ابنتي زينب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أجره كأجر من بكى على مصائب ولدي الحسن والحسين عليهما السلام[٣].

توفيت السيدة زينب عليها السلام سنة ٦٥هـ كما روى المؤرخون وأصحاب السير، غير أن المتتبع لسيرة العقيلة زينب عليها السلام يجد أن هناك أقوالاً مختلفة بخصوص مدفنها والزمن الذي توفيت فيه، فهناك من يرى أن مدفنها في المدينة المنورة، وكان ذلك بعد رجوعها مع السبايا من الشام، صرح الفاضل الميرزا عباس قلي خان المستوفي في تاريخه (الطراز المذهب) بأن الذي يصح عنده أن زينب لما رجعت من الشام توفيت بالمدينة المنورة ودفنت هناك قال ولا أدري متى كان وفاتها[٤].

ومنهم من قال إنها دفنت في الشام نقله في الطراز المذهب عن بحر الأنساب

وذكر الشيخ جعفر النقدي قوله: (وقيل إنها توفيت في أحدى قرى الشام، نسبه في الطراز أيضاً إلى بعض المتأخرين، وتلج الألسن في سبب ذلك بحديث المجاعة التي أصابت أهل المدينة المنورة فهاجرت مع زوجها عبد الله إلى الشام وتوفيت هناك، وهو حديث لا أثر له في كتب التاريخ والسير والأنساب والتراجم ولم يذكره المنقبون في الآثار ممن كتب في أهل البيت كالكليني، والصدوق، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، وابن شهرآشوب، والطبرسي، وابن الفتال، والعلامة الحلي، وابن طاووس، والوزير الإربلي، والمجلسي الذي جمع فأوعى، وقد احتوت مكتبته على ما لا يوجد في غيرها من آلاف الكتب، وتبرز هو في الإحاطة بالسير والآثار وأخبار أهل البيت عليهم السلام، إلى غيرهم... الخ[٥].

غير أن النسابة العبيدلي أبو الحسين يحيى بن الحسن (المتوفى سنة ٢٧٧ هجرية) ذكر في كتابه (أخبار الزينبيات) أن زينب الكبرى بعد رجوعها من أسر بني أمية إلى المدينة أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية، فخاف والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق انتفاض الأمر فكتب إلى يزيد فأتاه كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس فأمر الوالي بإخراجها من المدينة إلى حيث شاءت فأبت الخروج من المدينة وقالت قد علم الله ما صار إلينا قتل خيرنا وسقنا كما تساق الأنعام وحملنا على الأقتاب فو الله لا أخرج وأن أهرقت دماؤنا فقالت لها زينب بنت عقيل يا ابنة عماه قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوأ منها حيث نشاء، فطيبي نفساً وقري عيناً وسيجزي الله الظالمين أتريدين بعد هذا هوانا؟ ارحلي إلى بلد آمن ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام فاختارت (مصر) وخرج معها من نساء بني هاشم فاطمة ابنة الحسين وسكينة فدخلت مصر لأيام بقيت من ذي الحجة فاستقبلها الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري في جماعة معه فأنزلها داره بالحمراء فأقامت به أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً وتوفيت عشية يوم الأحد خمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة اثنتين وستين هجرية ودفنت بمخدعها في دار مسلمة المستجدة بالحمراء القصوى حيث بساتين عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، انتهى نص العبيدلي[٦] ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ جعفر النقدي في كتابه (زينب الكبرى) نقلاً عن الرحالة أبو عبد الله محمد الكوهيني الفاسي الأندلسي الذي دخل القاهرة في ١٤ محرم سنة ٣٦٩هـ والخليفة يومئذ أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمي فزار جملة من المشاهد من بينها مشهد زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب[٧].

والذي يراجع هذه الروايات المتقدمة، يجد أن رواية العبيدلي تعد أقدمها، ومهما يكن من أمر فإن المشاهد المشرفة للعترة الطاهرة مهما تعددت أماكنها واختلف في نسبتها، فهي ستبقى مزاراً وملاذاً لمن يلتجي إليهم عليهم السلام في المهمات والكرب، وهي بلا شك تعد مكاناً للعبادة والطاعة.

مقام تل الزينبية:

يقع هذا المقام في الجهة الجنوبية الغربية من صحن الحسين عليه السلام بالقرب من باب الصحن الذي يعرف بـ باب الزينبية على مرتفع يسمى بـ(تل الزينبية)، ويحدد البعد عن الصحن الشريف بـ ١٥٠ قدم[٨] ويساوي ٣٢ متراً تقريباً. ويقال أن هذا التل كان يشرف على مصارع القتلى في واقعة الطف، حيث كانت عقيلة الهاشميين السيدة زينب عليها السلام تتفقد حال أخيها الإمام الحسين عليه السلام، وتشرف على مصارع القتلى، وتيمناً بهذا المكان سمي المزار باسمها.

كان المقام عبارة عن مشبك صغير مصنوع من البرونز الأصفر، ملصق بجدار الدار العائدة ملكيتها للمرحوم السيد عبد الرضا السادن آل طعمة منذ سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وتعلو هذا المشبك أبيات شعر كتبت على القاشاني بالفارسية، وتوجد في أعلاه أحجار من القاشاني البديع الصنع يتخللها زخارف التوريق ثم صور لمعركة الطف، وقد شيد هذا الرمز في الثلاثينيات من القرن الماضي.

وقد ذكر الشيخ محمد السماوي هذا المزار في أرجوزته قائلاً:

وموقع مرتفع في تلِ
مستشرف على مكان القتلِ
يقال إن زينب العقيله
جاءته ترنو السبط أو مقيله[٩]

وتوجد في أعلى المشبك أحجار من القاشاني البديع الصنع يتخللها زخارف التوريق ثم صور معركة الطف. يقصد

المقام آلاف الزوار للصلاة والزيارة تبركاً وتيمناً. يقال أن الخطيب المرحوم الشيخ محمد الواعظ اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ تصدى لبناء المقام أيضاً[١٠]. جدد الشباك المذكور سنة ١٣٣٩هـ من قبل المرحوم عبد الحسين جعفر. أما الكاشي فهو من عمل الحاج رضا أبو الكاشي ثم جاء من بعده ولده عبد المجيد أبو الكاشي، ثم جدد المقام المذكور سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، وجدد أخيراً سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. ولابدَّ من الأشارة إلى أن المقام أجري له توسيع آخر، حيث أحيط بسياج من الكاشي الكربلائي مزخرف بنقوش وكتابات بديعة. وكان المقام يتألف من بناء بسيط يتخلله شباك صغير وتطور إلى بناية شاخصة للعيان بمساحة ٨×٨م وذلك سعي المحسن المرحوم الحاج عباس الحاج علي الوكيل الذي أشترى الدار المذكورة من السيد عبد الرضا صاحب الدار الأسبق في سنة ١٩٧٩م.

أما التجديد الأخير فقد تم في الشهر السابع من عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، وقام بتجديده السيد ناصر السيد راضي شبر، وبأشراف المهندس عبد المنعم عبد الأمير الكربلائي.

المزار يحتوي على باب خشبي بديع الصنع، طليت جوانبه بالآجر، وتعلوه كتيبة كتبت عليها الآيات القرآنية بخط الثلث.

وتعلو المقام قبة زرقاء متقنة الهندسة، متينة البنيان، مكسوة بالحجر، طليت جدرانها بالكاشي الكربلائي. وفي أعلى الجانب الأيمن توجد كتيبة نقشت عليها بالكاشي آيات قرآنية. يضم المدخل والرواق والكشوانية مساحة ٧٠م٢، أما المساحة الكلية للمقام فتقدر بـ١٥٠م٢. وللمقام سرداب شيد مع التجديد الأول للبناء، ووسع مع التجديد الثاني، وله باب خلفي ينزل إليه في غرفة لحفظ المفروشات والثريات والهدايا والنذور التي تقدم من قبل الزائرين.

وللخطيب الشاعر الشيخ هادي الشيخ صالح الخفاجي أبيات قالها في العاشر من المحرم من سنة ١٤٠٠هـ.

حَقَّ تبكي كل عين
بنواح وحنين
لحسين سبط طه
حيث أبكى الثقلين
أيها الزائر سبط المصـ
ـطفى الهادي الأمين
أنت في تربة أرضٍ
ذبحوا فيها الحسين
قف بها وإبكِ حسيناً
بعويلٍ ورنين
رزؤه هدَّ الرواسي
وأذاب الثقلين
هاهنا خرَّ صريعاً
لم يذق ماء المعين
حوله الآل ضحايا
من جريح وطعين
هاهنا طاح خضيب الـ
ـشيب مقطوع الوتين
وهنا (زينب) نادت
يا بن أمي يا حسين
هَجَمَ القومُ علينا
من شقيٍ ولعين

إن تكـن حيــا أجرنـا
من طغــاة مشـركين
أحرقوا الخدر وأبـكوا
من بنيكم كـــل عين[11]

وأرخ المقام المذكور الشاعر الكربلائي الحاج محمـد علي حسـين الحلاق وذلك بمناسبة تجديده الثالث فقال:

لهفي على أم المصائب أرخوا
(روض المقام بلطف زينب جددا)[12]

في كتـاب (كربلا رفته ها) الفارسـي ذكر لهذا المقام، نقلـه المؤلف عن كتاب (راهيـان كربلا) لهاشـم رضـوي (ايران ١٩٩٨) يقـول مـا تعريبه: مقـام زينب أو التل الزينبي، أثبتت السيدة زينب في تلك الملحمة شـهامتها في يوم عاشوراء حيث وقفت بحماسـة في هـذا المرتفع وكانت ناصـرة مخلدة في يـوم عاشـوراء، هذا المـكان المقدس المرتفع يقع في الجنوب الغربي من صحن الإمام الحسين عليه السلام[13]؟

وفـي موضع آخر يقـول: بعد أن زرنا المخيـم واجهنا التل الزينبـي، وكما قلنا أن التـل رابية وهو مـكان لوقوف زينب الكبرى، وكانـت ناظرة يوم عاشـوراء، وفي الحـال الحاضر قد بنيـت على هذا التـل بقعة وقبـة مجللة والـزوار يقيمون الصـلاة والزيارة والدعاء ويؤدون التحية. وله سـلم ذو تسع درجات طويل كل واحد منهـا ١٠م وارتفـاع الواحد ٢٥ سـم. هذا المكان المقدس يبعد ٤٠ م عن حرم سـيد الشـهداء و ١٠٠ م عن المخيم الحسـيني. كان بناء المقام صغيراً زين بالكاشـي[14]. أمـا المسـؤولون الذين تولـوا ادارة هذا المقـام فهو السـيد ابو القاسـم اليزدي الحائري، ثم قـام برعاية المقام من بعده الشـيخ صالح الكشوان الأسـدي ثم جاء الحاج عبـد الأمير (عبيد) خلفـاً لوالده، بن الشـيخ صالح الكشـوان الأسدي، ثم جاء من بعده ولده الحاج سـعد بن الشيخ عبد الأمير وهو الذي يديره ويشرف على رعاية يسـاعده موظفون مـن قبل الأمانة العامـة للعتبـة الحسـينية المقدسـة على مشرفها أزكى التحية والسلام ■

---

(١) السيدة زينب رائدة الجهاد ـ الشيخ باقر شريف القرشي ص٢٠٠.
(٢) زينب الكبرى ـ الشيخ جعفر نقدي ص٢٢.
(٣) الخصائص الزينبية ـ للسيد نور الدين الجزائري ص١٥٥.
(٤) تحفـة العالم في شـرح خطبة المعالم ـ السـيد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي ج١ص٢٣٥.
(٥) زينب الكبرى ص١٢٠.
(٦) أخبار الزينبات ـ أبو الحسـين يحيى بن الحسن العبيدلي ص١١٨ ـ ١٢١.
(٧) زينب الكبرى ـ ص١٢٠ ـ ١٢٢.
(٨) تاريخ وجغرافيائي كربلاي معلى ـ حسين عماد زاده (فارسي) ص١٧٨.
(٩) مجالـي اللطـف بأرض الطف ـ للشـيخ محمد السماوي ص٥٩.
(١٠) تاريخه كربلا ـ الشـيخ محمد كلباسي الحائري (فارسي) ص١٤٩.
(١١) ديوان الشـيخ هادي الشـيخ صالـح الخفاجي (مخطوط).
(١٢) ديوان الشيخ محمد علي الحلاق (مخطوط).
(١٣) كربـلا رفته هـا ـ هارون وهو من (فارسـي) ص٣٦٤.
(١٤) المصدر السابق ـ ص٣٨٦.

الأسرار الغيبية

وأثرها في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

د. حيدر كريم الجمالي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

إن قضية الإمام الحسين عليه السلام ونهضته ووجوده في هذه الحياة وعبر هذا التاريخ الطويل إنما هي حلقة وصل في الحلقات التي ارتضاها الله جل وعلا في سبيل رفعة البشرية في تحقيق التكامل والإصلاح الإنساني الذي أرسل لأجله ـ سبحانه وتعالى ـ الأنبياء والرسل وأنزل الكتب السماوية، هذه الثورة والنهضة أراد لها بارؤها ـ سبحانه وتعالى ـ أن تكون مناراً تربوياً وتشريعياً للبشرية جمعاء ينهلوا من فيض فكرها آفاق المستقبل نحو تحقيق الأهداف الإسلامية العليا في الدين والدنيا، وسُلّماً يرتقيه بنو البشر على طوال التاريخ ـ وهذه غاية الإسلام المثلى ـ ليكون العبد قريباً إلى ربه جل وعلا أقرب من أي مخلوق نحو قوله تعالى في الحديث القدسي: (عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون) فشهادة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن من صنع البشر على الرغم من تلاقح السيوف إنما هي مسيرة خطط لها الله ـ عز وجل ـ ورسمها في طريق البشرية من أجل أن تتواصل الأمم إلى صروح الكمال في دروب السلوك إلى الله عز وجل.

فالحسين عليه السلام من القادة الربانيين من قبل أن يخلق الله أولئك القادة إلى الدنيا، فهو عليه السلام ثقافة الإسلام الحقيقية التي تغذى بها الرسل والأنبياء والأوصياء، وعلينا أن نفهمها ونعيها ونوضحها ونبلورها للأجيال القادمة خدمة للبشرية.

والغيب لغة (كل ما أخفي واستتر يقال

له غيب، سواءً كان ذلك الاستتار مادياً أم حسياً، والغيب بمعناه المعنوي هو ما يستتر على الإنسان مما بينهم وبينه، أو ما كان في علم الله لم يحصل أو لم يحدث بعد.

ولست هنا في صدد تتبع المعنى اللغوي أو الاصطلاحي وأقسامه لمدلول لفظة الغيب بقدر ما يمس هذه الدلالة بمحاور المقال.

والغيب لله سبحانه وتعالى وهو على درجات ـ فمنها ما أطلعه رسوله الكريم صلى الله عليه وآله إذ يقول: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً)، ومن يكون أكثر ارتضاء منه لذلك لم يخف الغيب عن حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله، وقد أخبره به علام الغيوب فأورد لنا الرسول صلى الله عليه وآله كثيراً من الأحاديث التي تنجي الأمة من الفتن والتناحر والاختلاف، ولاسيما ما روي عنه في خلافة الإمام علي عليه السلام واستشهاده واستشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه وغيرها من الأخبار الكثيرة التي يطول بذكرها المقام. فضلاً عن كثير من المغيبات التي رويت عن الأنبياء عليهم السلام وكذلك ما روي عن أم موسى بقوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

وما أريد قوله هنا إن هذا الغيب قد اطلع عليه الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم،

فجاءت الأخبار الكثيرة التي تؤكد على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فضلاً عن كثير من المغيبات التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء الشهادة والسمو والمجد، وحياة الإمام الحسين عليه السلام وشخصيته ونهضته ما هي إلا غيب في غيب، وإنما ظهرت إلى الحياة والعلن والوجود بوساطة الوحي وبوساطة الأنبياء والأوصياء، والنصوص الدينية على لسان الرسول صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام من أهل بيت الرحمة تؤكد على هذه الحقيقة التي تناقلها السلف الصالح، فهي أي استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كانت ثقافة أهل البيت عليهم السلام وتوارثها صالح بعد صالح.

ونحن إذ نعرض لهذه الواقعة المؤلمة بكل جوانبها فإننا نتحدث عن تحقق مغيباتها التي ذكرها أهل البيت عليهم السلام والتي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام في مسيرة مجده إلى الخلود، والغاية هو إلقاء الحجة على هذه العصابة المجرمة التي اجترأت على الله ورسوله وعلى الإسلام، وهم يرون أمامهم تحققاً لتلك الروايات المتواترة والمسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاعتزل القتال منهم جمع كثير، وتحول قوم بسيوفهم إلى نصرة الحسين عليه السلام. وهم يرون الحق أمامهم.

ومن هذه المغيبات قوله عليه السلام من كلامه يوم عاشوراء مع أصحاب عمر بن سعد: (أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، حتى يدور بكم دور الرحى، ويقلق بكم خلق المحور عهد عهده إليّ أبي عن جدي)[1]، فلنحظ القسم هنا بـ أما وبعد بالاسم الصحيح (أما والله)، وجمال الصورة التي جاءت بعدها فهو عليه السلام يؤكد أن هؤلاء العصابة الضالة لهم مصير وهم ملاقوه ولو بعد حين، وسوف ينقلب هذا الأمر وبالاً عليهم، وأن هذا عهد معهود عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذا تأكيد على أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر بما يلاقيه أبو الأحرار عليه السلام في أرض كربلاء، وكيف حال القوم بعد هذه النكبة، فقضية كربلاء ليست آنية إنما هي قضية استثنائية تكويناً وتشريعياً، وقد أخرج أبو يعلى عن عائشة أنها قالت: (رأيت النبي صلى الله عليه وآله التزم علياً ويقول له: (يا أبا الوحيد الشهيد يا أبا الوحيد الشهيد)[2]، وعن ابن عباس أنه استيقظ مرة من نومه، فاسترجع وقال: قتل الحسين والله، وكان ذلك قبل مقتله فأنكره أصحابه فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه زجاجة من دم، فقال: ألا تعلم ما صنعت أمتي من بعدي؟ قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها

إلى الله تعالى)[٣]. فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بقتله في اليوم الذي رآه.

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه مر على أرض كربلاء لما سار بالجيش لملاقاة أهل الشام ـ فوقف عندها وبكى وهو يقول للجيش: هذا موطنهم، هذا مقتلهم، هذا موطن قتالهم، هذا موطن قتلهم، هذا موطن سباياهم، حتى أبكى الجيش، وكان يشير إلى مقتل الإمام الحسين عليه السلام وآل البيت الأطهار، وكأنه يرى ذلك المشهد بعينه.

فقضية كربلاء نسجت خيوطها الإرادة الإلهية التي أرادت من الحسين عليه السلام أن يكون نبض الإسلام الدافق في كل عصر وجيل، وأن تكون حروفه ودماؤه رسالة خالدة إلى كل شعوب العالم، وقد أكد ذلك مراراً أبو الأحرار عليه السلام ولاسيما حينما سأله أخوه محمد بن الحنفية عن علة أخذه العيال والنساء معه فجاء جوابه مدوياً مزلزلاً لكل من ظن أنه طالب للملك والسلطة فقال عليه السلام: (شاء الله أن يراني قتيلاً) قالها قبل تحركه، فقال له: وهؤلاء النساء والأطفال؟، فقال عليه السلام: (شاء الله أن يراهن سبايا) وهذا تجلي واضح للمستقبل.

ونراه عليه السلام واقفاً على عرصات كربلاء مخاطباً جمع عمر بن سعد وفقاً لما نقله الطبري في تاريخه (٤٥٢/٥): (روى حميد بن مسلم عن الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، وهو يقاتل القوم ويشد عليهم: (أعلى قتلي تحاثون، أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، أسخط عليكم لقتله مني، وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون. أما والله لو قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماؤكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم)، نعم فالحسين عليه السلام خط الإسلام الثابت، والاعتداء عليه إنما هو اعتداء على الإسلام، فهو الإرادة الإلهية متمثلة بصبره وجهاده، كيف لا وكربلاء محطة الإسلام الكبرى في تأكيد المسار التواصلي لمفهوم التضحية والفداء لذات الله ورسالته، ولا يفوتنا هنا أن ننقل مشهد اللقاء الذي جرى بين أبي الأحرار عليه السلام وقائد جيش الكوفة عمر بن سعد: فقال الإمام عليه السلام[٤]: (أين عمر بن سعد؟ ادعو لي عمر، فدعي له، وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه، فقال عليه السلام: يا عمر أنت تقتلني، وتزعم أن يوليك الدعي بن الدعي بلاد الري وجرجان؟ والله لا تتهنأ بذلك أبداً، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة، تتراماه الصبيان، ويتخذونه

غرضاً بينهم[٥]... ذبحك الله من على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك فوالله إني لأرجو ألا تأكل من بر العراق إلا يسيرا)[٦].

وقد تكرر ذلك العهد هنا مرة أخرى، وهذا استكشاف مستقبلي لواقع هذا المجرم الذي سعت به رغباته الدنيوية لارتكاب هذه الفاجعة التي يندى لها جبين الإنسانية، فطار بعارها وشنارها، وقد تحقق فعلاً ما ذكره الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر في هذا اللقاء، فهذه الدلالات الغيبية كانت مطروحة أما هؤلاء النفر الضال، وأنى لهم الاعتبار، فقد ساروا في دروب الضلالة بعد أن ابتعدوا عن الصواب وجادة الإسلام الصحيح.

فقد ذكرت المصادر أن عمر بن سعد لم يلبث بعد استشهاد سيد الشهداء عليه السلام إلا قليلاً، وكان ملازماً بيته لا يجرؤ على الخروج منه، إذ كان أطفال الكوفة إذا رؤوه خارجاً من الدار يحوطونه وهو يرددون: هذا هو قاتل الحسين، وإذا ذهب إلى المسجد يسارع الجميع إلى الابتعاد عنه، أو مغادرة المسجد، حتى قيل: إن نساء الكوفة خرجن في مظاهرة استنكرن فيها تعيين ابن زياد له كنائب لوالي الكوفة بعد أن قرر التوجه إلى البصرة، ولم يوله اللعين ولاية العهد المزعومة، ولما جاء المختار الثقفي أرسل من يأتيه برأسه، وهو على فراشه، وإذا بمصيره كما حدثه به سيد الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وقد أنبأ الإمام الحسين عليه السلام بحوادث آنية وقعت يوم العاشر كان لوقوعها صدى بين جند الكوفة، فاعتزل القتال قسم منهم والقسم الآخر تحول إلى نصرة الحسين عليه السلام ومن هذه المرويات أنه عليه السلام قد (احتفر حفيرة يوم العاشر فلما نظر ابن أبي جويرية إلى النار تتقد صفق بيديه ونادى يا حسين أبشر بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا. فقال الحسين عليه السلام: من الرجل؟ فقيل: ابن أبي جويرية المزني. فقال الحسين عليه السلام: اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا. فنفر فرسه وألقاه في تلك النار فاحترق)[٧].

ولما نادى تميم بن حصين من جند ابن سعد بالحسين عليه السلام وأصحابه: (أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات. والله لا ذقتم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جزعاً، فقال الحسين: من الرجل؟ فقيل: تميم بن حصين، فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار اللهم اقتل هذا عطشاً ـ في هذا اليوم ـ فخنقه العطش حتى أسقط عن فرسه فوطئته الخيل بسنابكها فمات)[٨].

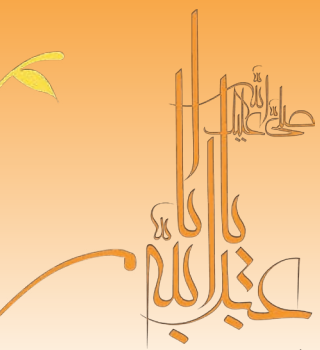

ولما قتل علي الأكبر عليه السلام قال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً ابن سعد: (قطع الله رحمك ـ ولا بارك الله لك في أمرك، وسلط عليك من يذبحك ـ بعدي ـ على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله)[٩].

وقد قتل المختار عمر بن سعد وابنه، ولما ضعف الحسين عليه السلام عن القتال (جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن نسر، فضربه بالسيف على رأسه، وكان عليه برنس، فقطع البرنس، وامتلأ دماً، فقال له الحسين عليه السلام: لا أكلت بيمينك ولا شربت بها، وحشرك الله مع الظالمين، وذكر أصحابه أنه يبست يداه، ولم يزل فقيراً بأسوأ حال إلى أن مات)[١٠]. وروي (أن رجلاً من بني كلب رمى سيد الشهداء عليه السلام بسهم أصاب شدقه فقال الحسين عليه السلام: لا أرواك الله، فقيل عطش الرجل حتى ألقى نفسه في الفرات وشرب حتى مات)[١١].

وقيل: (إن رجلاً اسمه أبحر، أو بحر أو أبجر بن كعب، سلب الحسين عليه السلام، فكانت يداه يبسان ـ في الصيف ـ كأنهما عودان، وتترطبان ـ في الشتاء ـ فتتضحان دماً وقيحاً إلى أن أهلكه الله)[١٢]. وغيرها كثير مما تناقلته المصادر عن مغيبات كربلاء، ولأن الإمام عليه السلام هو نهج الإسلام الصحيح وهو السائر على خطاه، فكان دعاؤه متحققاً، كيف لا وهو الذي ضحى بكل غال ونفيس لقاء رفعة الإسلام وتصحيح المسار، فجاء دعاؤه مصداقاً لعمله، مما أوقع الحيرة في قلوب كثير من المشككين.

إن قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية أزلية تمت إلى ما قبل خلق سيدنا آدم عليه السلام فهو امتداد لما قبل التاريخ، (ولكن بوجوده المثالي الذي نؤمن به نحن الشيعة خاصة، لأننا نؤمن بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق آل بيت محمد صلوات الله عليهم من أنوار قبل أن يخلق الخلق).

وقد وردت بهذا المعنى روايات متواترة كثيرة في كتب العلماء الأفذاذ كالكليني في أصوله وكتب

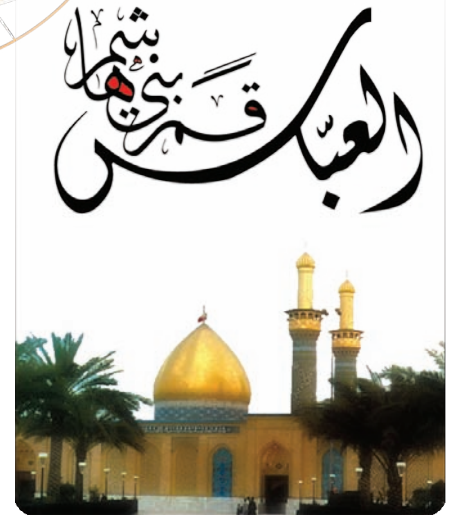

من أمثال من لا يحضره الفقيه والإرشاد والأمالي وغيرها.

ومن تلك الروايات الكثيرة ما رواه الكليني في أصوله بسنده عن محمد بن يحيى المتصل بالإمام الصادق عليه السلام: أن جبرائيل نزل على محمد صلى الله عليه وآله فقال له يا محمد إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أمتك من بعدك، فقال النبي صلى الله عليه وآله يا جبرائيل وعلى ربي السلام: لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمتي من بعدي، فعرج جبرائيل ثم هبط وقال له مثل قوله، فأجابه النبي ـ صلوات الله عليه ـ بمثل ما أجابه أول مرة، فعرج جبرائيل في المرة الثالثة إلى السماء ثم هبط فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويبشرك أنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية).

فشهادة الإمام الحسين عليه السلام خطط لها في السماء وإنما كانت الغاية منها هذا الأثر الإلهي الذي صنعه الله بعينه، فجعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية.

ويذكر الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام (لما وضع الحسين عليه السلام في حجر النبي صلى الله عليه وآله بكى فقالت له أسماء رضي الله عنها مما بكاؤك؟ فقال صلى الله عليه وآله: على ابني هذا، فقالت: إنه ولد الساعة يا رسول الله، فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي)، وقد كرر الرسول صلى الله عليه وآله هذا الموقف ولمرات، وغايته ترسيخ هذه الثقافة الإلهية في عقول أبناء هذه الأمة وتأكيده على أهمية هذا المولود، وأثره المستقبلي في تصحيح مسار الأمة، وحثهم على الوقوف إلى جانبه ونصرته، وإن الحق معه أينما حل.

فقضية كربلاء لم تكن لحينها بل جاءت وفقاً لعهد معهود بعين الله تعالى، من أجل أن يؤدي هذا القتل المتتابع أثره في تصحيح مسار الأمة التي ابتعدت عن مسار الإسلام ولاسيما بعد أن تربع بنو أمية على رقاب المسلمين وانحرفوا بتوجهات الأمة وتطلعاتها عن الخط الرسالي المرسوم لها بقوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...)، فكانت قضية كربلاء سلاحاً معنوياً يوجه الأحرار لنيل الحرية والكرامة والوقوف بوجه الطغاة والظلمة الذين يريدون النيل من الإسلام والمسلمين، وتغيير مسار هذه الأمة نحو التكامل والإصلاح، فأصبح الحسين عليه السلام مدرسة لكل الأجيال ينهلون من ثقافته ليكونوا في حياتهم أنصاراً للحسين عليه السلام.

فهذه القضية مفصلاً تاريخياً جوهرياً سوف يكون في حياة الأمة وعلى الأمة أن

تتحمل مسؤولياتها (ولذلك نجد أن الغيب في التاريخ البشري كان المشكلة أمام الناس بأن الله سبحانه وتعالى عندما يذكر الغيب يقرن بالتقوى والإيمان واللطف الإلهي بالإذعان للغيب والإيمان بالغيب مثلاً في أول سورة البقرة: (الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) جعل الإيمان بالغيب أولى خصال التقوى والإيمان والتقوى في الحقيقة هي أعمق من الإيمان وأعلى رتبة من الإيمان فلذلك فإن مشكلة الجماعات التي انحرفت عن طريق الله عن خط الله هو موضوع الغيب).

والغيب مراتب فهناك غيب يعلمه الأنبياء وغيب تعلمه الملائكة وغيب يعلمه عامة الناس وهناك كما ذكرت سلفاً أخبار النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام عن واقعة كربلاء ومنها ما نقل عن الإمام الحسن عليه السلام دخل عليه الحسين في علته التي استشهد فيها فلما رآه الحسين عليه السلام بكى، فقال له عليه السلام: ما يبكيك يا أبا عبد الله، فقال: أبكي لما صنع بك، فقال الحسن عليه السلام: إن الذي يؤتى إليّ سم أقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله وقد أزدلف إليك ثلاثون ألفاً يدعون إنهم من أمة جدنا محمد وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وسبي ذراريك ونساءك وانتهاك حرمتك)[١٣] وهذا قيل قبل وقعة كربلاء بـ(١٠) سنوات. فهذا يعني أن كربلاء كانت ثقافة خاصة لبني هاشم وعامة للأمة وهذا من الغيب الذي أطلعه الله الأنبياء.

ولعل رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى بني هاشم ـ قبل أن يخرج إلى أرض كربلاء ـ من سطر واحد.

(بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بين أبي طالب إلى بني هاشم أما بعد فإن من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام)[١٤].

وهذا تأكيد غيبي على أن الحسين عليه السلام كان يعلم إلى أين يسير وغاية مسيره، ومصيره ومصير بني عمومته وأرومته.

فقد استكشف المستقبل وكشف سبر أغواره قبل تحركه وبعد تحركه وكأنه يبصر المستقبل والأجيال التي تلته فهو إمام معصوم كان يعلم مصيره لأن ثقافة كربلاء كانت غذاء روحياً وفكرياً ربى عليه بنو هاشم وآل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ولنستمع إليه عليه السلام يخاطب رسل أهل الكوفة: (إن رسول الله أمرني بأمر وأنا ماض له) فما هذا الأمر سوى كربلاء وعاشوراء بعد أن خرج من مكة وفي ومعه أهل بيته وصحبه: (وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، لا محيص عن يوم خط بالقلم...) وهذا جانب

غيبي.

وفي مسيره إلى العراق قيل أن إعرابياً في الطريق اعترضه قائلاً: (ماذا تفعل في العراق أنسيت أباك وأخاك) قال لهعليه السلام: (يا عبد الله، ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره ثم قالعليه السلام: والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي)[15].

فهذه الأخبار الغيبية ـ وهي جزء صغير مما استقصيته تؤكد توكيداً لا يدخله الشك عن أن كربلاء واستشهاد الإمام الحسينعليه السلام تفويضاً إلهياً، ولم يكن قتلاً آنياً، وإنما هو قتل استتبع أشكالاً من القتل على مر العصور غايته بما حواه من مغيبات أن يهدي الأمة إلى الحق ويبعدهم عن الضلالة، وفقاً لهدي الإسلام المحمدي، فجاءت هذه الأحاديث والأسرار الإلهية لتكون حلقة الوصل بين عقول البشر لتؤكد قدسية الرسالة الحسينية، فهي ثقافة الإسلام الخالد التي ينبغي لنا أن نهضمها فكراً ونوضحها عقيدة للأجيال القادمة.

فقضية الإمام الحسينعليه السلام أمل الأمة وكل الأحرار في هذا العالم للنهوض بواقع أممهم نحو التغيير والإصلاح والوقوف بوجه كل الطغاة الذين يريدون النيل من كرامة بني البشر التي كرمهم بها الله. فالسلام على الحسين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً ■

---

(١) مقتل الحسين، الخوارزمي، ٧/٢، بحار الأنوار، ٩/٤٥، الملهوف، ص١٥٧، تحف العقول، ٢٤/٢.

(٢) ينابيع المودة، القندوزي ٢/ ٣٩٧.

(٣) ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر ص٣٨٧، بتصرف.

(٤) الخوارزمي، ٧/٢، الفتوح، ١٠٠/٥، مثير الأحزان، ص٥٦.

(٥) بحار الأنوار ٤٥/ ١٠.

(٦) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٨٩.

(٧) الأمالي، الصدوق، ص٢٢١، روضة الواعظين، ص١٨٥.

(٨) الأمالي، الصدوق، ص٢٢١، روضة الواعظين، ص١٨٥، الثاقب في المناقب، ص٣٤٠، ص٣٤١.

(٩) مقتل الحسين، الخوارزمي، ٣٠/٢، الملهوف، ص١٦٦، البحار، ٤٢/٤٥-٤٣.

(١٠) الإرشاد، ١١٠/٢، مقتل الحسين، الخوارزمي، ٣٥/٢، البحار، ٥٣/٤٥.

(١١) المناقب، ٥٦/٤، إحقاق الحق، ٥٢٩/١١.

(١٢) أعلام الورى، ٢٤٦/١٢، الإرشاد، ١١/٢، المناقب، ٥٧/٤.

(١٣) أمالي الصدوق ص١٧١.

(١٤) دلائل الإمامة، الطبري ص١٨٨.

(١٥) الإرشاد، الشيخ المفيد ٢/ ٧٦.

ركظة طويريج ـ محرم ١٤٣١

قالوا في الحسين..

الحق أن ميتة الشهداء التي ماتها الحسين بن علي قد عجلت في التطور الديني لحزب علي، وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة..

المستشرق الألماني/ كارل بروكلمان

لقد قدم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية، وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة.

الآثاري الإنكليزي/ وليم لوفتس

إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي..

الباحث الإنكليزي/ جون أشر

قام بين الحسين بن علي والغاصب الأموي نزاع دام، وقد زودت ساحة كربلاء تاريخ الإسلام بعدد من الشهداء.. اكتسب الحداد عليهم حتى اليوم مظهراً عاطفياً..

المستشرق الهنغاري/ أجناتس غولدتسيهر

لم يتردد الشمر لحظة في الإشارة بقتل حفيد الرسول حين أحجم غيره عن هذا الجرم الشنيع.. وإن كانوا مثله في الكفر..

المستشرق الهولندي/ رينهارت دوزي

في نهاية الأيام العشرة من شهر محرم طلب الجيش الأموي من الحسين بن علي أن يستسلم، لكنه لم يستجب، واستطاع رجال يزيد الأربعة آلاف أن يقضوا على الجماعة الصغيرة، وسقط الحسين مصاباً بعدة ضربات، وكان لذلك نتائج لا تحصى من الناحيتين السياسية والدينية..

المستشرق الفرنسي/ هنري ماسيه

بالرغم من القضاء على ثورة الحسين عسكرياً، فإن لاستشهاده معنى كبيراً في مثاليته، وأثراً فعالاً في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت عليهم السلام..

المستشرق الألماني/ يوليوس فلهاوزن

الكتب المؤلفة في مقتل الحسين تعبر عن عواطف وانفعالات طالما خبرتها بنفس العنف أجيال من الناس قبل ذلك بقرون عديدة، وأضاف قائلاً: إن وقعة كربلاء ذات أهمية كونية، فلقد أثَّرت الصورة المحزنة لمقتل الحسين، الرجل النبيل الشجاع في المسلمين، تأثيراً لم تبلغه أية شخصية مسلمة أخرى..

المستشرق الأمريكي/ غوستاف غرونيبام

حقاً إن الشجاعة والبطولة التي أبدتها هذه الفئة القليلة، على درجة بحيث دفعت كل من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إرادياً. هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتاً عالياً وخالداً لا زوال له إلى الأبد.

المستشرق الإنجليزي/ السير برسي سايكوس

من خطباء المنبر الحسيني..

الشيخ صالح الدجيلي

حيدر المالكي •

ينابيع

تنوعت الأدوار التي مر بها المنبر الحسيني فمن رخاء إلى شدة يعقبها رخاء، إلا أن السمة التي سادت كل الأدوار هو اضطلاعه بعملية تثقيف المجتمع والتركيز على نشر مبادئ أهل البيت التي تنصب على التربية الصالحة للفرد لكي يصبح عضواً فاعلاً في بناء حياة أفضل تكفل المعيشة الطيبة في الدنيا والفوز برضا الله تعالى في الآخرة.

وكان على المنبر أن يجد أشخاصاً يدركون خطورة ارتقائه ويؤمنون بمبادئه وتتوفر فيهم مقومات الخطابة كي يستطيع التواصل مع الناس بما يريد أن يوصله إليهم ضمن عملية متعاقبة تُخرّج في كل فترة خطباء جدد، يحافظون على الموروث الخالد ويسايرون بنفس الوقت التطور في العالم الذي يتحرك بخطوات متسارعة في سباق علمي متعدد الملامح والنتائج.

وقد برز من الخطباء المرحوم الخطيب الشيخ صالح الدجيلي الذي عاش ضمن بيئة علمية ودينية وتخرج من مدرسة النجف المنبرية المعروفة برصانتها وخطها الإسلامي الأصيل مع الإثراء المعرفي في ظلال المرجعية الدينية الرشيدة، وها نحن نسلط الأضواء على حياته اعترافاً منا بفضله وإشادةً بدوره الفعال في خدمة أهل البيت وإحياء أمرهم الذي أمرنا به الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا).

هو الشيخ صالح بن الشيخ حسن بن الشيخ محسن بن الشيخ أحمد الدجيلي بن الشيخ عبد الله الخزرجي، هاجر جدهم الأكبر الشيخ أحمد الدجيلي من

مدينة الدجيل (عكبرا التاريخية) الواقعة على بعد ٦٠ كم شمال بغداد أوائل القرن الثالث عشر إلى النجف الأشرف طلباً للدراسة ومجاورة أمير المؤمنين عليه السلام وهو ابن الشيخ عبد الله الخزرجي أحد شيوخ قبيلة الخزرج القاطنة في الدجيل.

ولد في النجف الأشرف في محلة العمارة التي كانت تعج بالبيوت والأسر العلمية سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٨م)، وكان لوالده الشيخ حسن دوراً بارزاً في تنشئته وتعليمه فقد شبّ محباً للعلوم والدرس، راغباً في الانخراط بسلك الدراسة الدينية، وبعد وفاة والده أخذ أخوه الأكبر الشاعر المعروف الشيخ أحمد الدجيلي على عاتقه تدريسه والاهتمام به وكان قد درس عليه علوم العربية ثم التحق بمدرسة منتدى النشر وواصل دراسته وبنفس الوقت كان يحضر الدروس الحوزوية فقد حضر درس الفقه عند آية الله الشيخ عباس المظفر الذي كان يلقي بحوثه في مدرسة الإيرواني بمحلة العمارة، ثم جعل يختلف إلى درس البحث الخارج عند آية الله العظمى زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي في جامع الخضراء.

أما خطابته فقد بدأ مشواره مع المنبر الحسيني بمعية الخطيب اللامع السيد جواد شبر الذي كان معروفاً في الأوساط الشعبية بمقدرته العالية وقابليته الخلاقة على إدارة المجلس بحيث يشد الأسماع إليه منذ صعوده أعواد المنبر وحتى انتهائه من إلقاء المحاضرة.

وكان من الطبيعي أن يتأثر الشيخ صالح بأستاذه المفوه والمحبوب، فسار

على نهجه جاعلاً من المنبر أداة للإصلاح في المجتمع العربي، الذي كان رهين الماضي المتخلف بما أفرزه الاستعمار من جهة والمتطلع إلى العالمين الشرقي والغربي، حيث الأفكار الشيوعية والرأسمالية من جهة أخرى.

وما أن تكاملت قدرات الدجيلي المنبرية حتى انفرد بنفسه، خطيباً متكلماً يدير المجلس وفق عرض ديني تاريخي أدبي يستسيغه الجميع، مع أمكانية هائلة في تحريك العواطف تجاه كربلاء.

إلى جانب ذلك فقد دخل في المجال التربوي فصار معلماً مختصاً بتدريس اللغة العربية ومادة التربية الإسلامية وقد حدثنا ممن تتلمذ عنده قائلاً: (كان لا يتقيد بالمنهج المحدد في تدريسه التربية الإسلامية، بل كان يتوسع في ذلك فيعلمنا كيفية الصلاة، ويقوم بتحفيظنا أسماء الأنبياء أولي العزم والأئمة عليهم السلام، وقد يطلب منا حفظ مقطوعات من خطب نهج البلاغة، كذلك كنا يحثنا على حفظ من وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام).

ولما اشتهر اسمه وطار صيته في جميع محافظات العراق صار يتنقل بين المدن واعظاً وخطيباً ليرشد الناس إلى ما فيه الصلاح والإصلاح، ولم ينس مدينته النجف الأشرف التي صقلت مواهبه وشحذت فهمه وهيأت له أسباب النجاح، فكانت مجالسه فيها معروفة، إذ قرأ في أغلب البيوت النجفية، التي كانت تقيم المآتم على العترة الطاهرة طيلة أيام السنة إضافة لموسمي عاشوراء ورمضان، كما قرأ في المواكب والهيئات الحسينية.

أما في باقي المدن العراقية فقد قرأ في الشامية، والشنافية، والديوانية، والكوفة، والمشخاب وأبي صخير، وفي البصرة مجلس الحاج طوينة، وفي القرنة أيضاً.

كما قرأ في سلطنة عمان خلال الدعوات التي كانت توجه إليه من أهل مسقط.

وممن قرأ عنده المقدمة:

١ـ الشيخ باقر المقدسي.
٢ـ السيد عامر الحلو.
٣ـ السيد عبد الرزاق القاموسي.
٤ـ الشيخ علاء الدجيلي.
٥ـ الشيخ عباس النداف.

من اليمين: الشيخ محمد رضا الشبيبي، الشيخ جواد قسام، السيد عبد المنعم الشوكي (في الخلف)، السيد مصطفى جمال الدين، السيد علي الحكيم، الشيخ مسلم الجابري، الدكتور محمود المظفر، السيد عبد الحسين الحجار، الشيخ صالح الدجيلي (المترجم له)، السيد نوري لعيبي، الشيخ كريم طاهر، الشيخ كاظم الماجدي

٦ـ السيد محمد القاضي.
٧ـ الشيخ عبد الله الدجيلي.
٨ـ الشيخ جعفر الدجيلي.

وقد تحدث لنا الخطيب الشيخ شاكر القرشي عنه باعتباره من أقرب أصدقائه وقد زامله في الحضور عند السيد جواد شبر قائلاً: (عرفنا المرحوم الشيخ صالح بالاستقامة والدين والالتزام، فقد كان أميناً في إرشاده، عاملاً على إبراز مظلومية أهل البيت عليهم السلام، ساعياً في حل المشاكل الاجتماعية وإصلاح ذات البين).

ومع ما حباه الله من موهبة خطابية فقد نظم الشعر، ومما قاله في ولادة الإمام المهدي عليه السلام:

وفي ليلةٍ غابتْ نحوسُ نجومها
فأَشْرَقَتْ الدّنُيا بطلعتهِ الغَرّا
ونرجسُ جاءتْ نَحْوَ والده لكيْ
يُقَبّلُ خَدّاً مُشْرِقَاً لـه والثَّغْرَا
فأَنْطَقَهُ الرّحْمَنُ وهو ابنَ ساعته
فَعَدّدَ آبَـاءً لَهُ وتَـلاَ الذّكْرَا
لك الحمدُ يا ربَّ العبَاد فإنّنا
نَزُوُمُ ظُهُوراً بَعْدَ غَيْبَتِه الكُبْرَى
ليَمْلأها قسْطَاً وعَدلاً فـإنها
وَحقّكِ يا طُهْرُ قد مُلِئَتْ جَوْرَا
أتنسى هجومَ القوم في عُقْرِ داركمْ
وقد أسقطوا طَفلاً لجدّتك الزّهْرا
أتنسى بناتِ الوحي سيْقَتْ حواسراً
وقد ضَربوا بالسّوطِ عَمتّكَ الحَوْرا

وما أن حل العقد الثمانيني من القرن المنصرم حتى أصبح المنبر الحسيني برجاله وأنصاره ومريديه هدفاً للسلطة الحاكمة آنذاك، حيث لاقى الخطباء أشد المخاطر التي قد تصل للموت في كثير من الأحيان، لذا فقد رأى عدد منهم ترك الخطابة والتخفي في الدور خوفاً من بطش الحكم البعثي الذي وجد في المنبر دوراً رسالياً واضحاً فأراد بشتى الوسائل سحقه وتدمير قواعده المنبرية والشعبية.

وكان الشيخ الدجيلي من الذين شملتهم المطاردة والملاحقة، ومع ذلك فقد آلى على نفسه أن لا يترك المنبر بل واصل عطاءه وخدماته لسيد الشهداء، خصوصاً أيام المحرم حيث كانت الأجواء مشحونة بالتوتر، فمنع إقامة الشعائر الحسينية أصبح هاجساً للدولة وبأي ذريعة، فكان رحمه الله يتنقّل من مجلس لآخر وكله ثقة بالله تعالى غير آبه بملاحقة رجال الأمن والحزب، إلى أن كثرت حالات اغتيال

الخطباء، بحيث فقدت النجف الأشرف ثلة من رجال المنبر الذين اعتادت عليهم الناس وألفت محاضراتهم، وعندها قرر الشيخ التخفي عن العيون التي باتت ترصده أينما يذهب، وكان لهذا القرار وقع مؤلم وشديد على نفسه لأنه لم يترك خدمة أهل البيت عليهم السلام طيلة سني حياته.

ولما وضعت حرب الخليج الأولى أوزارها أصبحت الساحة المنبرية خالية تقريباً من الخطباء، فمن مغيّب بالسجون أو مقتول بالدهس أو السم أو الاغتيال الدموي، أو متغرب عن الوطن بالإكراه أو الرضا، ثم بدأت الأمور تنفرج نسبياً مع استياء الناس جراء الحصار الاقتصادي الخانق وتلويح الإدارة الأمريكية بالسلاح مما أدى إلى تغاضي السلطة عن أقامة المجالس وعندها سارع الشيخ صالح بالحضور في المجالس وعاود نشاطه في خدمة أهل البيت عليهم السلام، ولهذا انبرى السيد عبد الستار الحسني مادحاً إياه بقوله:

قدْ قُلْتُ لما قَامَ صَالحُ خاطبَاً
فوقَ المنابرِ كالهَزارِ الصادحِ
ما في ذُرَى النّجَفِ المشرّفِ منبرٌ
إلا ويفخر بالخطيب الصالحِ

وعندما حل المحرم عام ١٤٢٢هـ، اضطلع الشيخ كعادته بدوره المنبري فحضر مجالس النجف في العشرة الأولى من المحرم ومنها مجلس السادة آل بحر العلوم الذي يعد من أقدم وأضخم المجالس العاشورائية في النجف، وما كاد اليوم العاشر أن يحل حتى استدعاه رجال الأمن إلى مديريتهم وحققوا معه حول توجيهاته الحسينية التي كان يلقيها على مسامع مرتادي مجلسه، فلم يلبث بعد هذا الاستدعاء سوى شهرين حتى أخذت بوادر المرض الخطير تظهر على جسده بصورة متسارعة حتى انتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها في السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ المصادف ٢٠٠٢/٦/٢٠، فدفن بمقبرة وادي السلام في النجف الأشرف وقد أرخ وفاته السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان بقوله:

يا نكبةَ المنْبرِ في أُسْتَاذه
قَدْ غَابَ عَنْهُ صالحٌ مُغَادرُ
خطيبُ وَعْظٍ أَرَخُو (لفقْده
تبكي شَجَاً صلاَحَهُ المنابِرُ) ■

الأداء البياني
في خطبة
فاطمة الصغرى عليها السلام

- **د. عبد الإله العرداوي**
  كلية التربية/ جامعة بابل
- **نور طالب**

ينابيع تعد الخطابة فن من الفنون النثرية، عرفها المجتمع البشري على مر العصور، لأنها تلبي متطلبات الإنسان في مواقف مختلفة، كأن يحث قومه على أمر، أو يردّ على خصومه، أو أعداء قومه. ولا تكتمل صورة هذا الفن إلا بحضور جمهور من الناس قلّ أو كثر، وشرائط شكلية وأخرى مضمونية إلى أن يستوي بصورته الفنية المميزة. وقد مرت الخطابة عند العرب بمراحل متعددة منذ العصر الجاهلي والعصور اللاحقة شهدت خلالها تطورات ملحوظة في البنية والمضمون، وبرز خلالها خطباء مشهورون يلكون أروع الخطب وأجلّها قوة وفخامة من الناحية الفكرية والفنية وعلى رأس هؤلاء الخطباء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، لا يقصر فيهم النساء دون الرجال، فهن لم يكن أقل شأناً من الرجال، إذ برز منهن الخطيبات المفوهات، ومن أمثلتهن فاطمة الصغرى عليها السلام وفي الصفحات القادمة سنحاول أن نسلط الضوء على خطبة فاطمة الصغرى عليها السلام مبرزين الجوانب الفنية البيانية فيها.

نص الخطبة: ينظر: الاحتجاج: ٢/٢٧ـ ٢٩

التحليل البياني

التشبيه:

يعد التشبيه من أيسر أساليب البيان، حتى قيل أنه أكثر كلام العرب[١] وذلك لأن التشبيه من أقدم صور البيان، ووسائل الخيال، وأقربها للفهم والإيضاح والإبانة، وأفضل أداة لتقريب البعيد[٢] (إذ يزداد به المعنى وضوحاً، ويكتسب تأكيداً)[٣] وقد ورد التشبيه في الخطبة في موارد منها،

قولها عليها السلام: (فانظروا اللعنة والعذاب، فكأنها حلّت بكم)[٤]. فهنا شبهت عليها السلام اللعنة والعذاب شيء معنوي مدرك وهو الحلول والوقوع، فهي تقول لأهل الكوفة بأن لعنة الله وعذابه واقع عليكم لا محالة جزاء ما فعلتموه بأهل البيت عليهم السلام.

ومن التشبيه قولها عليها السلام: (ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً كأنا أولاد الترك أو كابل)[٥] هنا شبهت عليها السلام أهل البيت عليهم السلام بأولاد الترك أو كابل لعلاقة المشابهة بينهما، فهي استعملت (كأن) التي أفادت الشك، ووجهه الشبه هنا الذلة والعبودية، فأهل الكوفة يقارنون أهل البيت وأولادهم بأولاد الترك، وأفغانستان، لأنهم عبيد ويعيشون حياة ضنك وشظف يسودها الفقر المدقع والأمراض والفوضى العارمة، فهي أرادت أن تبين سوء معاملة أهل الكوفة لأهل البيت عليهم السلام.

الاستعارة:

تعد الاستعارة من وسائل بناء الصورة البيانية، وقد عرف السكاكي (ت٦٢٦هـ) الاستعارة بقوله: (هي أن يذكر أحد طرفي التشبيه وتريد منه الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه بما يخص المشبه به)[٦].

ومن خلال هذا القول ندرك بوضوح تام الصلة القوية القائمة بين الاستعارة والتشبيه، ولكن التشبيه على الرغم من ذلك يبقى قاصراً عن تحقيق القيمة الفنية التي تحققها الاستعارة لما فيها من تداخل في الدلالة، على نحو لا يحدث بنفس الثراء في التشبيه[٧].

فهي تخرج الألفاظ من دلالاتها الوصفية إلى دلالات إيحائية جديدة، فضلاً عن أنها تقوم بتنشيط الخيال من خلال قدرة الشاعر على تنويع المفردات لهذه

الدلالات الجديدة التي تتسم بالإبداع.

ومن الموارد التي وردت فيها الاستعارة في الخطبة، قولهاعليها السلام: (تعساً لرؤوسهم! ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته)[٨] فهنا استعارة، لأن الضم لا يدفع، إذ حسدت الضيم بشيء أمكن دفعه، وهنا استعمل هذا التركيب في غير ما وضع له من حيث المعنى المنقول له والمعنى المستعمل فيه.

ومنها قولهاعليها السلام: (وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وجعل على أبصاركم غشاوة)[٩].

فهنا استعارات متداخلة المعنى فالطبع على الأفئدة والختم على الأسماع والغشاوة على الأبصار كلها موارد تمنع الاتصال والتواصل بين الأشياء، فأهل الكوفة لا يميزون بين الحق والباطل وحالهم يشبه الطبع على الأفئدة و...الخ وهذا كله استعارة تمثيلية بارزة المعالم.

ومنها قولهاعليها السلام: (فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته)[١٠] فالاستعارة هنا تمثيلية، فاستعملت الالفاظ هنا في غير ما وضعت لها في أصل اللغة لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول له والمعنى المستعمل فيه، فأهل البيتعليهم السلام عيبة علم الله سبحانه وتعالى ووعاء فهمه وحكمته جلّ وعلا، فهم كالثياب النفسية المودعة في العيبة لعمله سبحانه وتعالى والوعاء الذي يحفظ فهمه وحكمته.

الكناية:

استند الشعراء والكتاب في تشكيل ملامح صورهم إلى ما في الكناية من قدرة على خلق صور تمتع الذوق والنفس، إذ أن الشاعر يعبر بها عن كل ما يجول في

خاطرة بعيداً عن المباشرة، والتصريح في الكلام اللذين يفقدان النص الأدبي الروح والحياة، ويحرمان المتلقي من لذة التمتع بما فيه من صور وخيال.

والكناية، هي (ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره، وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي)[11].

ومن موارد الكناية في الخطبة، قولها عليها السلام: (وهديته إلى صراط مستقيم)[12] فقولها (صراط مستقيم) كناية عن طريق الحق والصلاح فعدلت عن التصريح، لأنها لم تشأ أن تعبر عن فكرتها تلك بصورة مباشرة ليس فيها أي تأثير في نفس المتلقي، بل عبرت عن ذلك تعبيراً غير مباشر، وبالتلميح دون التصريح المباشر، وهي أبلغ من الحقيقة.

ومنها قولها عليها السلام: (بفيك أيها القائل الكثكث)[13] فقولها: (القائل الكثكث) كناية عن التصغير والاحتقار والاستهزاء، لأن الكثكث في اللغة هو فتات الحجارة، ودلالة الفتات بينه للمتلقي، وهي هنا لم تلجأ إلى الحديث المباشر غير المؤثر في نفس المتلقي، وإنما عبرت عن ذلك بتعبير غير مباشر ألقى الفزع والروع في نفس العدد وبالتلميح والإشارة دون التصريح.

ومنها قولها عليها السلام: (وبها معشر مسلمة بألسنتهم)[14] فقولها عليها السلام: (مسلمة بألسنتهم) كناية عن النفاق، إلا أنها هنا لم تشأ أن تعبر عن فكرتها بصورة مباشرة، ليس فيها أي تأثير في نفس السامع، بل عبرت عن ذلك تعبيراً غير مباشر.

المجاز:

المجاز هو (اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها)[15].

وقد ورد المجاز في خطبة فاطمة الصغرى عليها السلام في قولها: (ويل لكم أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم)[16] فقولها عليها السلام: (يد طاعنتنا) صورة قائمة على مجاز مرسل، والعلاقة حلية فهي عليها السلام استعملت محل اليد، لأن اليد لا تطعن بذاتها، وإنما هي محل الطعن، وهذه الصورة المجازية تجسد البراعة والإتقان، لأنها عليها السلام أرادت محل اليد، الذي يكون أداة لحمل الشيء الطاعن، فالعلاقة هنا أصبحت محلية، ولم تقصد اليد لذاتها، وإنما محلها ■

---

(١) ينظر: الكامل في اللغة والأدب: ٨١٨/٣.
(٢) ينظر: فنون بلاغية: ٢٧.
(٣) كتاب الصناعيتين: ٢٤٩.
(٤) ، (٥) الخطبة.
(٦) مفتاح العلوم: ١٧٤.
(٧) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٢٤٧.
(٨) ، (٩) ، (١٠) الخطبة.
(١١) جواهر البلاغة:٢٠٨.
(١٢) ، (١٣) ، (١٤) الخطبة.
(١٥) جواهر البلاغة:١٧٩.
(١٦) الخطبة.

عابس الشاكري
حب الحسين أجنني

الشيخ حميد البغدادي •

ينابيع من الشخصيات المهمة والمؤمنين بخط الإيمان والولاية عابس الشاكري الذي استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في العاشر من المحرم سنة (٦١هـ).

نتعرض في هذا الموجز إلى شذرات من حياة وتاريخ الشهيد الشاكري وينبغي الإشارة إلى إن المعلومات غير متوفرة كما يجب عن مسار حياة عابس الشاكري، ولعله تتوفر فرصة أخرى لبحث ذلك بشكل أكثر تفصيلاً.

الاسم والنسب:

هو عابس بن أبي شبيب بن شاكر بن ربيعة بن مالك بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد الهمداني الشاكري.

أسرة بني شاكر:

نشأ في أسرة عرفت بالشجاعة والبطولة والإقدام، فأسرة بني شاكر أسرة عريقة في الشرف والنبل وهم بطن من همدان القبيلة المعروفة والتي ينتمي إليها حارث الهمداني، تميزت بالإيمان والشجاعة والتضحية في سبيل الدين الحنيف والإخلاص للحق.

فقد كانوا من شجعان العرب وحماتهم، وكانوا يلقبون بـ(فتيان الصباح) وفيهم يقول: أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين: لو تمت عدتهم ألفاً لعُبِدَ اللّه حق عبادته[1].

قال السمعاني في أنسابه: (الشاكري بفتح الشين المعجمة والكاف المضمومة بعد الألف هكذا رأيت بضم الكاف في كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم

مقيدا مضبوطا ثم... بطن من همدان)[٢].

وقال ابن الأثير: (الصحيح كسر الكاف من شاكر، ومن ضمه فقد أخطأ)[٣].

كان عابس من رجال الشيعة رئيساً شجاعا خطيبا ناسكا متهجدا[٤] وكان من الذين بايعوا مسلم بن عقيل في الكوفة، وأرسله مسلم برسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام بعد ما بايعه أهل الكوفة، فوافاه في مكة، والتحق بركب الإمام الحسين عليه السلام وبقي ملازماً له من مكّة حتّى كربلاء[٥].

ورد السلام عليه في زيارة الناحية المنسوبة إلى الإمام الحجة عليه السلام السلام على عابس بن شبيب (أبي شبيب) الشاكري[٦]، وكذلك الزيارة الرجبية.

السيرة العطرة:

كان من أهل المعرفة والبصيرة والإيمان، ومن دعاة الحركة الحسينية بالكوفة، ومن أوائل المؤمنين بها، فعندما قدم مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة وأسرع أهلها لبيعته، تقدم عابس الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لمسلم:

(أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطّن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم، حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله)[٧].

وهو الذي حمل رسالة مسلم للحسين بعد ان بايعه الكثير من أهل الكوفة، فكتب للإمام يستحثه فيها على القدوم إليهم، وهذا نصها: (أما بعد: فان الرائد لا يكذب أهله[٨]، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفا فعجل حين يأتيك كتابي، فان الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى)[٩].

أقوال في الشهيد عابس:

إن أصحاب الحسين الذين عبر عنهم أبو الأباة (لا اعلم أصحاباً خير من أصحابي) في غنى عن التعريف فهم خير الناس وهم الذين دافعوا عن الرسالة وعن المولى وعن الإسلام وقدموا كل ما يملكون فهم الأبطال وهم المؤمنون وهم الذين ملؤوا التاريخ بالفخر والشهامة و ستظل الأجيال تنظر إليهم

باعتزاز وفخر.

ولعابس الشاكري المواقف المشرفة في الدفاع عن حياض الحق وقد ورد السلام عليه من الناحية: المقدسة: (السلام على عابس بن أبي شبيب الشاكري)[١٠].

وسنذكر بعض الأقوال عنه ليطلع القارئ الكريم على هذه الشخصية الجليلة:

ـ قال الشيخ محمد السماوي:

كان عابس من رجال الشيعة رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجداً، وكان بنو شاكر من المخلصين بولاء أمير المؤمنين عليه السلام[١١].

ـ قال الشيخ ذبيح الله المحلاتي:

من الشجعان المعروفين، ورئيس الفرسان المتحمسين، وكان شخصاً عابداً، متهجداً، يحيي الليل، ومن الطراز الأول في محبة أمير المؤمنين عليه السلام[١٢].

ـ قال أبو القاسم النراقي:

عابس بن شبيب الشاكري من حواري أبي عبد الله الحسين عليه السلام قتل معه[١٣].

ـ قال الكاتب المصري المعروف عباس محمود العقاد:

فلما برز عابس بن أبي شبيب الشاكري بعد ذلك وتحداهم للمبارزة تحاموه لشجاعته، ووقفوا بعيداً منه، فقال لهم عمر: ارموه بالحجارة فرموه من كل جانب، فاستمات وألقى بدرعه ومغفره وحمل على من يليه فهزمهم، وثبت لجموعهم حتى مات[١٤].

ـ قال الشيخ عبد الواحد المظفري:

فهو عريق في الشجاعة من حيث رهطه ومن حيث قبيلته، وهو أمر محقق عند العرب[١٥].

ـ قال الشيخ باقر شريف القرشي:

وعابس الشاكري كان من أسرة عريقة في الشرف والنبل، عرفت بالشجاعة والإخلاص للحق... وكان عابس في طليعة أسرته ومن أفذاذهم[١٦].

ـ قال الشيخ علي النمازي الشاهرودي:

عابس بن أبي شبيب الشاكري: من خلص رجال الشيعة، رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجداً ناصراً أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين[١٧].

شهادته:

وبعد شهادة مجموعة من أصحاب الإمام الحسين أقبل عابس على الحسين عليه السلام وهو يقول: يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ ولا أحب إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز عليّ من نفسي ودمي لفعلته. السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله إني على هديك وهدي أبيك.

ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوهم، وبه ضربة على جبينه.

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة عن رجل من بني عبد من همدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم، قال: لما رأيته مقبلاً عرفته، وقد شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجن عليه أحد منكم.

فأخذ ينادي ألا رجل لرجل! فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة.

قال: فرمي بالحجارة من كل جانب،

فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثم شد على الناس، فـوالله لرأيته يكرد أكثر من مائتيـن من الناس، ثم أنهـم تعطفوا عليه من كل جانـب فقتل، قال: فرأيت رأسـه في أيدي رجـال ذوي عدة، هذا يقول: أنا قتلتـه، وهذا يقول: أنـا قتلته، فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد. ففرق بينهم بهذا القول[18].

وقيل له لما ألقى درعه ومغفره أجننت يا عابس فقال: حب الحسين أجنني ■

---

(١) إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوي، ص٨٨.
(٢) الأنساب، ٢٧/٨.
(٣) اللبـاب فـي تهذيـب الأنسـاب، ابـن الاثير الجزري، ج٢ ص١٧٦.
(٤) تنقيح المقال، ١١٢/٢، إبصار العين، ص٧٤.
(٥) انظر: تاريخ الطبـري، ٢٩٠/٣، وانظر: إبصار العين، ص٧٦.
(٦) الإقبال، ص٥٣ .
(٧) تاريخ الطبري، ٢٧٩/٣.
(٨) (إن الرائد لا يكذب أهله): مثل معروف ومشهور ومعناه أن من يرسـل أمام أهلـه ليخبرهم عن مربع أي مكان الكلأ والرعي يليق بهم لا يكذب عليهـم بخبره ويغرهم فإن المربع لهم وله وإن أهله آتون فناظرون إليه.
(٩) الطبري، ٢٢٤/٦ .
(١٠) الإقبال، ص٥٣.
(١١) إبصار العين، ص٨٧.
(١٢) فرسان الهيجاء، ١٨٠/١.
(١٣) شعب المقال، ص٦٨.
(١٤) أبو الشهداء، عباس محمود العقاد، ص١٨٢.
(١٥) الأمالـي المنتخبـة، الشـيخ عبـد الواحـد المظفري، ص١٣٧.
(١٦) حياة الإمام الحسـين، الشـيخ باقر شـريف القرشي، ٢٢٧/٣.
(١٧) مسـتدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٤ ص٣٠٥.
(١٨) تاريخ الطبري، ٢٥٤/٦، الكامل في التاريخ، ٧٣/٤.

وجهٌ من الطف..
على آخر الرمل

شعرية المفارقة في قصيدة حسينية

د. علي مجيد البديري •
كلية الآداب/ جامعة البصرة

ينابيع

يَنتمي النصُّ الشعريُّ المدروسُ هنا إلى ما يُسمى في الشعرِ العربيِّ المعاصر بـ(قصيدة النثر). وتُعدُّ هذه الأخيرةُ من أبرزِ التحولاتِ الفنيةِ والنوعيةِ التي حدثتْ في تاريخِ القصيدةِ العربيةِ الحديثةِ. وقد حاولتْ العديدُ من الدراساتِ النقديةِ تحديدَ السماتِ الفنيةِ والمزايا الجديدةِ لهذه القصيدةِ، متخذةً من كتابِ سوزان بيرنار[1] مظلةً نقديةً لها، وهيَ تؤشرُ الوعيَ، والإيجازَ، والتوهجَ، والمجانية، شروطاً لهذا الشكلِ الشعريِّ الجديد. على أنَّ من أبرزِ ما تتسمُ بهِ قصيدةُ النثرِ بحثها المُستمرَ عن التغايرِ والاختلاف، وسعيَها إلى الانفلات عن سطوةِ التأطيرِ والحدودِ المُغلقة، متوسلةً في تحقيقِ ذلكَ استثمارَ كلِّ محفِّزٍ للكامنِ من الطاقاتِ الجماليةِ في اللغةِ ـ خُصوصاً ـ وفي عناصرِ البناءِ الأخرى عُموماً.

ولا نريدُ أنْ نخوضَ في الإشكالياتِ الكثيرةِ المثارةِ حولَ هذهِ القصيدةِ فنخرجَ عن موضوعِ المقالِ، ونكتفي بهذا التعْريفِ البسيطِ لننتقلَ إلى معاينةِ مفردةٍ جماليةٍ في قصيدةِ نثرٍ لشاعرٍ بصريٍّ هو (طالبَ عبدِ العزيز)، الذي أصدرَ حتى الآن ثلاثَ مجاميعَ شعريةٍ هي: (تاريخُ الأسَى ١٩٩٤)، و(ما لا يفضَحُه السِّراج ٢٠٠٠)، و(تاسوعَاء ٢٠٠٤). والقصيدةُ موضوعُ الدراسةِ عُنوانُها (على آخرِ الرَّمل) نُشِرتْ في مجموعةِ الشاعرِ الثانية[2].

نص قصيدة
على آخر الرَّمل

انكسَرَ الصَّباحُ على الفُراتِ
أصحابُ عَمي وأهلُه يَحفُّونَ بهِ

والشمسُ سَطرُ فسيفساءَ لم يتهشمْ بَعد
سيفُ أبي في الخزانةِ
وعمامتُهُ عَلى رأسي
تكلَّموا وسيوفُهم مُشرعة
تكلَّمَ وسيفَهُ مُغمَد
أرادَ أنْ لا تقعَ الحربُ
لكنَّهم اشتمَلوها دروعاً
رماحُنا في الخيام
ورماحُهم في العراء
ولمَّا نَضَجَ النَّهار
اكتملتْ شهوةُ الأعداءِ بنا
واخترَطَ الموتُ من سيفِه شِبرا
فاحتطبُوا المنايا
وطلبنا لأجسادِهم النارَ
راياتُنا سود
وَهم بلا رايات
لكنَّ نصرَنا لاَ بدَّ أنْ يقطرَ مِن سُيوفِهم

ولمَّا كانتْ الشمسُ تَذبلُ على آخر
الرَّمل
كرهتُ دمي
فجعلتُ قلبي على راحةِ سَيفِي
ومَضيتُ إليهم
والحديدُ لمْ يَلُحْ بعدُ على جَسدي
زعموا بأني قمرٌ
وأشبَهُ جدي
الذين حَولي كرِهوا أنْ يُلاقوا الله
بدمي
لكنِّي عفَّرتُ بأبدانهم الثرى
ولمَّا بلغتْ جراحِي مائة
آويتُ إلى عَمِّي
كي أموتَ أمامَه
(١٩٨١)

قبــلَ أنْ نتأمَّلَ بنيــةَ المُفارقة (Irony)

في القصيدة، نتوقفُ قليلاً عندَ ما يَمنحُ المفارقة جماليتها وشعريَّتها، فهي (تستمدُّ قوتها من واحدة من أشدِّ وأقدم وأكثر المُتع دواماً في الذهن البشريِّ المتأمِّل متعةَ مقابلة المظهر بالحقيقة)[٣] حيثُ تولي عنايتها إبرازَ حدةَ التناقض بينَ طرفين، مُستفزة هدوءَ التناقض البسيط إلى أعْلى درجات انفجار صُراخه وأكثرها امتداداً. كما أنَّها (قولُ شيء بطريقة تستثيرُ لا تفسيراً واحداً بل سلسلةً لا تنتهيَ منَ التفسيرات المُغيِّرة)[٤] عندَ المتلقي.

إنَّ اعتمادَ بنيةَ المُفارقة نَسقاً جَمالياً في النَّص أمرٌ لا يمكنُ النظرُ إليه بمعزلٍ عن آفاق التجربة الحياتية والجمالية للشاعر، وما يدفعُ إلى هذا ما يعقدُهُ الشاعرُ من قنوات حوارية بين ما هو جَماليّ فنيّ وما هو حياتيّ يوميّ في مقاربته الشعرية للحياة (القصيدة) فـ(التعبيرُ بالمفارقة، يرتبطُ لدى الشاعرِ المعاصرِ بالموقفِ الجدليِّ من الحياة والعصر، وما يَشوبُه من صراع يجعلُ الفعلَ يَرتمي من أحضانِ اللا معنى، حيثُ تُصبح المفارقةُ هي الوسيلةُ الوحيدة التي تقررُ المعنى بافتراض خلفية لجميع مظاهرِ الصراعِ في هذا العصر)[٥].

إلا أنَّ الإمساكَ بشعرية المفارقة والقدرة على تحويلها إلى بنية فاعلة في النَّص أمرٌ لا يقدرُ لكلِ شاعرٍ أو نَص، وذلك لارتكاز التناول على مدى حساسية الوجوه المُتناقضة من صور الحياة، واقتناص المُدهش من مرجعيات متزاحمة قد ترتبك أو تنفلتُ من بين أصابع بعض الشعراء، وتفقد حضورَها الفاعلَ وهي تدخلُ فضاءَ النَّص. لذا فإنَّ توظيفَ المفارقة في بناء النَّص الشعري لا بدَّ أنْ يُشكلَ نَسقاً دالاً يتجاوزُ الإطارَ اللسانيَّ البسيطَ للجملة كوحدة جزئية إلى أخذ النص ككل في الاعتبار؛ لأنَّ المفارقة ترتبطُ بالمجال الفكريِّ الذي يثيرُ الموقفَ العام داخلَ القصيدة[٦]. فالعمليةُ إذن عمليةٌ تكشفُ عن طاقة المفارقة، وحثِّها على خلق مناخها الفاعلَ في السياقِ مُتزاوجة ومتوحدة مع كلية النَّص.

تبني قصيدةُ (على آخر الرمل) استهلالَها بشكلٍ يهيئُ القارئَ لإرصاد خاتمَتها من خلال:

- انكسارُ الصَّباح
- تهشُّم الشمس المُرتقب
- وما بينَ الإنكسارِ والترقبِ: (أصحابُ عمِّي وأهلَه يَحفونَ به).

هكذا يَبدأ بناءُ المفارقة، وهي تدخلُ فضاءَ واقعة تاريخية بارزة (وقعة الطَّف) حينَ يَجعلُ الشاعرُ شخصيةَ الإمام الحسين عليه السلام وصحبَه وأهلَهُ مُحاصرة بينَ صباح عاشوراءَ المتكسِّر، وظهيرَته التي ستتهشَّمُ بشكلٍ يُنبئُ بانفراط الشمل وتفرقه. هذه المفارقةُ التي تجسِّدُها بنيةُ المَشهد الإستهلاليّ، تؤسسُ ارتباطاً تركيبياً مع بنية النص الكُلية، وتكاد تشكلُ نواةً أو ثيمةً أساسيةً مكتنزة لدلالة النص بأكمله. ثم يتواصلُ النَّصُ عبر اعتماده بنيةَ الوصف والإخبار في تحقيق المفارقة وتناميها، فعلى لسان

(الغـلام) ـ الذي يبرز إلى سـاحة الحرب ـ تتجسـدُ صورةُ طرفَي المعركـة؛ الجانبُ الحُسـينيّ الـذي يَنتمي إليـه الصبيُّ، فهو القاسـمُ بنُ الإمام الحَسـن عليه السلام، والجانبُ الآخـرُ تمثله سـيوفُ الأعداء المشـرعَة، والرِّماح التي تحتطبُ المنايا في العَراء.

ويضيءُ لنا التاريخُ بعضَ ملامحَ القاسم بن الإمام الحَسـن عليه السلام؛ فهو يتقلدُ سـيفَ أبيه الحسن عليه السلام وعمامَته، بعد أنْ تُخرجهما أمُه من خزانتها، وكانتْ قد ادخَرتْ السَّيفَ والعمامة ليوم الطف بناءً على وصية الإمام الحسن عليه السلام لها.

وينقـلُ الطبـريُّ فـي تاريخـه عن أبي مخنف قولَـه (قال حميدُ بنُ مسـلم: خرجَ علينـا غلامٌ كأنَّ وجهَه شـقَّة قمـر في يده سـيفٌ، وعليه قميـصٌ وإزارٌ، ونعلان قد انقطعَ شِسـعُ إحداهُمـا، فقالَ لي عمرُ بن سـعيد بن نُفيل الأزدي: واللّه لأشدنَّ عليه. فقلتُ سُـبحان اللّه، وما تُريدُ بذلك؟! دعْهُ يكفيكهُ هؤلاء القوم الذين لا يبقون على أحد منهم!، فقال واللّه لأشـدنَّ عليه. فشدَّ عليه فما ولّى حتى ضربَ رأسَه بالسيف ففلقه، ووقـعَ الغلامُ لوجهه فقـالَ: يا عماه! فجلّى الحسـينُ عليه السلام كما يجلي الصقرُ، ... وانجلتْ الغبرةُ فرأيتُ الحسـينَ عليه السلام قائماً على رأس الغلام وهو يفحصُ برجله، والحسـينُ عليه السلام يقولُ: بُعداً لقوم قتلوكَ، ومن خصمُهم يومَ القيامة فيـك جدّك. ثم قالَ: عـزَّ ـ واللّه أ على عمّك أنْ تدعوَه فلا يجيبُك، أو يجيبُك فلا ينفعُك، صوتٌ ـ واللّه ـ كثُرُ واتروه وقلَّ ناصروه!!...)[٧].

إنَّ المتأملَ لوقعة الطف عامة، وللمجتزأ التاريخـيّ أعلاه ـ بشـكلٍ خـاص ـ يُخرجُ بنتيجـة مؤلمة هي أنَّ الوقعة كلَّها عبارة عن (مفارقةٍ سـوداءَ) متمثلةً فـي أفعالِ الإنكار والتكذيب والغدرِ والقتلِ والتمثيلِ والحَرقِ والسَّبي بأجسـادٍ طاهرةٍ هي امتدادٌ لجسدِ وروحِ النَّبـيِّ الهَـادي، الصَّـادق، الأمين، صاحب السكينة...الخ.

ولعـلَّ اكتنـازَ الوقعة بصـورٍ من هذه المُفارقـة المُؤلمـة مَثلـتْ حَافـزاً كبيراً لقصيدة (عَلـى آخرِ الرَّمل) فـي أنْ تقومَ على (مفارقة متنامية) تبدأ في الاستهلال، لتصلَ إلى الخاتمة بشكلٍ يُوحي بالاستمرار لا الانتهاء. فيأتي السـطرُ الشـعريُّ: (لكنَّ نصرَنـا لا بُـدَّ أنْ يقطـرَ من سـيوفهم)، ليعيدَ تشـكيلَ بنية المُفتتـح للقصيدة عبر مُفارقـة واضحة، فالنَّصرُ لا بـدَّ أنْ يكونَ بالاستشهاد.

ويقفُ (الغلام) متأملاً المشـهدَ: (ولمَّا كانتْ الشَّـمسُ تذبلُ آخـرَ الرَّمل/ كرِهتُ دمـي/ فجعلـتُ قلبي علـى راحة سـيفي/ ومضيـتُ إليهـم)، وهكـذا تَتدفـقُ صورُ المُفارقة راسمةً جَو المعركة من خلال عين الغلام الذي ـ وعلى نحو مُنسـجم تماماً مع إنبـاءِ المُفتتح ـ يختارُ نُصرَه فـي أنْ يُكملَ نزفَ دَمه بينَ يدي عمّه الحسين عليه السلام.

إنَّ التماثلَ الدلاليَّ القائمَ بينَ أولِ سَطرٍ شـعري وآخرِ سَطرٍ من النَّص يُؤكِّدُ دورانَ المُفارقـة التي نَمَتْ بشـكلٍ عضوي داخلَ النَّص:

إنكسـارُ الصبـاحِ ⇄ مـوتُ الغـلامِ

وعلى المُستوى الجماليِّ لبنى الوصْف المُستخدَمة في البناء، فإنَّ انتقالات المُفارقة لم تسقط في نثرية باردة، بل حافظتْ ـ وعبر انسجامها مع بنية النَّص الكلية ـ على حرارة شعريَّتها وهي تنمو وصولاً إلى الخاتمة ■

---

(١) الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه للكاتبة، ترجمه عن الفرنسية د. زهير مجيد مغامس، بعنوان: قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا، وصدر عن دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد سنة ١٩٩٣.

(٢) ما لا يفضحه السراج، طالب عبد العزيز، دار الشموس للدراسات والتوزيع والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠: ٢٩ـ ٣٠

(٣) المفارقة وصفاتها، د.سي.ميوبك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، د.ت: ٥٨.

(٤) المصدر السابق، ص٤٣.

(٥) اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد، محمد كنوني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧، ص٢٧١.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص٢٧١.

(٧) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ج٥ ص٤٤٧.

العتبة الحسينية المقدسة/ باب القبلة ـ صورة أخذت في ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

البعد (الزمكاني) لواقعة الطف

محمد دعيبل •

ينابيع إنَّ الحديث عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لن يسعه كتاب ولا حتى موسوعة متكاملة تتناول هذا الحدث التاريخي الهام الذي شكل منعطفاً هاماً في مسيرة البشرية أضفى الوجود على اللاوجود وكشف الحقيقة بعد الانطماس تاركاً أثره في الكون جُلّه وذلك من خلال التضحيات المنقطعة النظير التي قدَّمها سيد الشهداء وأبو الأحرار أبو عبد الله الحسين عليه السلام فما عساني أن أتحدث بهذه العجالة عن أمر لولاه لما ولد الدين من جديد بعد أن آل على نفسه خليفة الأمويين أن ذاك يزيد بن معاوية (عليه اللعنة) على إماتة وحي السماء بكل ما أوتي من قوة متحدياً بذلك إرادة السماء وبكل جرأة فقد ورد في الحديث عن الإمام الحسن عليه السلام في ما يخصّ واقعة الطّف الخالدة أنّه قال مخاطباً أخاه الإمام الحسين عليه السلام: (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله) (مناقب ابن شهرآشوب ٣/ ٢٣٨) وتيمُّناً بهذا الحديث الشّريف لابدَّ لنا أنْ نتمعَّن جيداً بكلام المعصومين عليهم السلام لما يحمل من معان جمّة،وهي في الواقع من أحسن الكلم ذلك لأنهم عليهم السلام لن ينطقوا بشيء إلا تعبيراً عن إرادته سبحانه وتعالى كونهم القرآن الناطق والذي يبين بالفعل آيات القرآن الصامت المتمثل بكتاب الله عزَّ وجل ومن هنا نود أن نبين لقارئنا الكريم شيئاً من مراد الحديث الوارد الذكر في صدر الكلام ولعلّنا نستقرئ ذلك في عدة محاور:

١- دلالة الحديث على أنَّ هناك

خصوصية ليوم عاشوراء لاختلافه عن باقي الأيام من حيث البعد الزمكاني في الكون، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنَّ هذا اليوم العظيم يمتاز بشمولية المعاني والمفاهيم السامية مما يضفي عليه الخلود وإلى الأبد ولعلَّ العلَّة في عدم وجود المثيل لهذا اليوم وهو المتبادر إلى ذهن القارئ وبلا تكلف هو ما ذكرناه من شموليته من حيث الزمان والمكان ومنذ خلق آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة.

٢- ولكي يتضح مرادنا بالحديث لابد لنا أن نبين قصدنا بالشمولية التي ذكرناها في المحور الأول إذ نقول: إنَّ يوم عاشوراء يحمل في طيّاته دروساً ناطقة تشمل الحياة بكل جوانبها وأقطابها إذ أننا نعتقد أن ثورة الحسين عليه السلام لن تترك مفصلاً من مفاصل الحياة إلا وغذّته بالمبادئ والقيم ليتعلّم منها المرء ما يرد عليه نفعه في الدارين (الدنيا والآخرة) وإليك عزيزي القارئ ما تيسّر منها لكي نبيّنه وإلا فكل ما نقول بحق هذه الثورة الكبرى ويومها الخالد هو غيض من فيض إذ مهما كتب عنها الكتاب ومهما قيل عنها لا يدرك مقامها السامي كما قدَّمنا في بداية الكلام، وذلك لأنها فاقت تصوّر المعقول وهي بالذات من ركائز الدين المحمّدي الأصيل وأُسسه التي تكون مسؤولة عن ديمومته واستمراره فمن الدروس التي نتعلمها من يوم عاشوراء هو درس عقائدي له مساس بالإيمان بالله تعالى والأنبياء والرسل وهذا يتضح لنا حينما نقرأ حديثاً ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في حقّ الحسين عليه السلام: (إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة) إذ نحن في الواقع مدينون لهذا الحديث ولمن قيل في حقّه كونه عليه السلام أحد أقطاب رحى الإيجاد وخامس أصحاب الكساء والاعتقاد به عليه السلام أصل من أصول الدين الإسلامي والأصل مقدَّم على الفرع بلا شك ومن هنا يتجلى لنا مبحث الاعتقاد بالإمامة التي هي من مكمّلات النبوّة وكما في صريح قوله تعالى في حجة الوداع حينما أشار الرسول صلى الله عليه وآله إلى وجوب اتباع الإمام علي عليه السلام خليفة من بعده كما ورد في حادثة الغدير تفسيراً لقوله تعالى: (اليوم

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، فالحسين عليه السلام هو خليفة الرسول الأكرم فعلاً بعد شهادة أخيه الحسن عليه السلام والذي ما هدأت نفس معاوية - والد يزيد وواهبه الخلافة التي أصبحت كرة يلعب بها الصبيان لا كونها الإمامة المكمّلة للنبوة بشهادة الكتاب والسنّة وإقرار العامة وإيمان الخاصة بذلك - ولا أقر له قرار إلا بعد أن سمَّ الإمام الحسن عليه السلام خارقاً بذلك كل العهود والمواثيق التي وافق عليها في الصلح بينه وبين أبي محمد الحسن عليه السلام، ومن هنا يتبادر إلى الذهن سؤال لابد من الإجابة عليه ألا وهو (إذا كان خليفة المسلمين معاوية قد خرق كل العهود بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام أمام الملأ وبشهادة التاريخ، والإسلام بطبيعة الحال يعتبر هذا الفعل أمراً قبيحاً حرمَّه الشّارع المقدّس وتوعَّد فاعله بالعذاب الأليم وقد جاء ذلك على لسان الكتاب المبين فكيف حقّ لمعاوية حينئذ أن ينصب ولده يزيداً خليفة من بعده مع ادعائه أنه خليفة لرسول الله في الوقت الذي حلّل لنفسه ما حرم الله؟ وجواباً على ذلك أقول وبصيغة السؤال أيضاً) هل إن الإنسان المنصف يقبل هذا الأمر فيرضى بمن هو معاد لله ولرسوله أن يكون خليفة للمسلمين. وأترك الكلام للتاريخ نفسه ليجيب وبكل صراحة ذلك أنَّ واقعة الطّف قد مثّلت مفصلاً حيوياً ميّز الحق عن الباطل فكانت بحق درساً أنموذجياً يتعلم منه الأجيال حياة العز والكرامة والوقوف بوجه الاستبداد والطغيان وسلاطين الجور أبد الدهر وهذا يدلنا على أن أحد الأهداف الأساسية لواقعة الطّف هو هدف سياسي فضلاً عن باقي الأهداف الأخرى، وما تحدي يزيد لشخصية الحسين عليه السلام وهو الوارث الشّرعي للإمامة إلا تعبيراً عن العصيان المطلق لشريعة السماء ولعلّ الحرارة والغليان اللّذين أشار إليهما الرسول محمد صلى الله عليه وآله في حق سيد الشهداء: (إن لقتل ولدي الحسين عليه السلام حرارة في نفوس المؤمنين لن تبرد أبداً) هو مصداق لعقيدتنا الدينية والسياسية في شخص الحسين عليه السلام وما تحمله عاشوراء الخالدة هو صورة لهذا المصداق ■

قصيدة: درب السمـاء

قيصر عبد الحسين أبو طبيخ •

يا أيها الماشي إلى الأرض التي ... تليت بها بـدم النحور الواقعة
يـا أيها الـسـاري إلـى تلك الربا ... حيث الرؤوس حكت شموساً ساطعة
حيث الـفـرات غـداً يلوذ بفارس ... لـو قـارعـتـه يـد الـزمـان لقارعه
لاذ الـفـرات بـه غـداة رآه قد ... لاذت نبال الـقـوم فيه مسارعة
يـا نفس هوني قـال وهـي تطيعه ... والنفس للهمم العظيمة سامعة
ومضى يسير إلـى الخلود بسيفه ... فالسيف أصـدق من يقص وقائعه
حيث الإمـام ابـن الإمـام ككعبة ... طافت حواليها السيوف القاطعة
هـو مـن دعـاهـا أن إلـيّ فأقبلت ... مـن كـل فـج سـامـعـات طائعة
فـغـدا يقبلها بـفـيـض وريـده ... وغـدت تقبل نـحـره متدافعة
وبـكـى عـلـى أعـدائـه بـل أنهم ... أحبابه فالنفس ليست جازعة
فهو المحب ومـن أحـب كحبه ... حتى المصائب قد يراها رائعة
فمشى ليشبع أنفساً جاعت وهل ... في الأرض من نفس تراها شابعة
واختار أرض الطف كي يبني بها ... صـرح الخلود بيومها والفاجعة
ونسير نحن إليه إذ ضاقت بنا ... أرض تسمى ـ وهو كذب ـ واسعة
سر نحوه واذرف دموعك عنده ... شـعـراً وخير الشعر عين دامعة
سر نحوها تلك القبور فإنها الـ ... درب الوحيد إلى السماء السابعة

يوم مطرت السماء دماً يوم عاشوراء

د. عبد الوهاب الحكيم •
كلية الزراعة/ جامعة الكوفة

ينابيع

إن يوم عاشوراء من أكثر الأيام دموية مرت على الأمة الإسلامية والأمم الأخرى التي كانت تعيش في أصقاع الأرض (القديمة) قبل اكتشاف الأرض الجديدة (الأمريكيتين).

ومن أهم الحوادث التي عمت هذه الأرض والأصقاع بمختلف بقاعها هي أن السماء بكت على الحسين عليه السلام دماً وشمل انتشار أمطار الدم هذه بقعة تمتد من خراسان وما قبلها وحتى أوربا ومن ضمنها بريطانيا وغيرها.

ولنشرح للقارئ الكريم تسلسل الأحداث والروايات التي استطاع المؤلف الحصول عليها.

يقول السيد محمد تقي آل بحر العلوم (١٣١٨-١٣٩٣هـ) في كتابه المشهور (مقتل الحسين أو واقعة الطف) ص٦١٢ في باب (تغير العالم العلوي بعد مقتله - أي مقتل الحسين عليه السلام):

(قالوا: وارتفعت في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة فيها (ريح حمراء) لا يرى فيه عين ولا أثر حتى ظن القوم أن العذاب قد جاءهم. فلبثوا كذلك ساعة ثم انجلت الغبرة عنهم).

ويذكر السيد بحر العلوم مصدر الحديث هذا أنه من بحار الأنوار للمجلسي ج٤٥ ص٥٧ طبع طهران. ومصدر آخر هو مقتل الخوارزمي ج٢ ص٣٧ طبع النجف.

وعند تتبعي للمصدر وجدت البحار بالضبط كما ذكر السيد بحر العلوم وبالصفحة والجزء المذكورين ونفس النص. وعند تحليل النص نجد أن أهم حدث هو الغبرة الشديدة

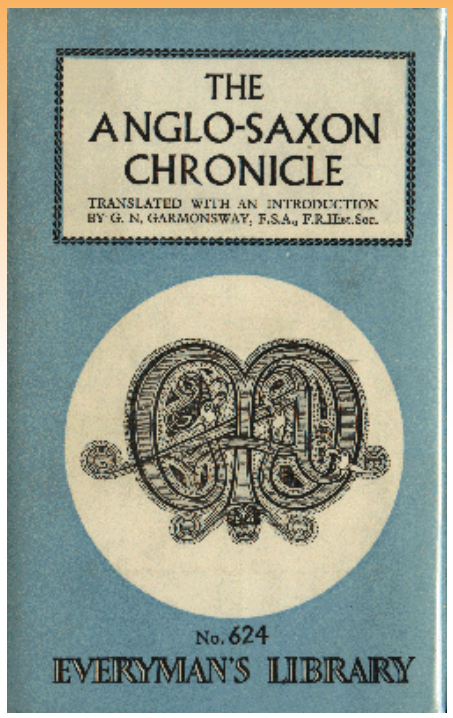

والريح (الصرصر العاتية) الحمراء (التي حملت دماء الحسين وبقية شهداء الطف إلى السماء وبقاء هذه الريح لفترة (ساعة) والتي تعبر عن أكثر من ساعة اعتيادية. ثم زوالها.

ونحن هنا نؤكد على هذه الريح التي قد تكون (والله أعلم) عبارة عن الدوامات الأرضية والعواصف التي قد تحدث بعضها الآن في أصقاع الأرض (وخاصة في أمريكا) وتحمل ما خف وثقل من أثاث وممتلكات وتقلع البيوت والسيارات وحتى القطارات وتحمل بها وترميها في أماكن أخرى بعيدة عن أماكن تواجدها. وكلما زادت قوة الرياح وسرعتها في هذه الدوامة فإنها تزيد من إتلافها للمنطقة حتى تصبح (ريح صرر عاتية) كما يضعها القرآن الكريم التي سخرها الباري عز وجل على قوم عاد فأهلكوا بريح صرر عاتية ويقول: (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) الحاقة/٦و٧.

الأمطار الدموية في أماكن أخرى من العالم:

ولكي تتبع الأحداث التي مرت على بقاع الأرض نحاول تتبع الروايات التي ذكرها المؤرخون وقد اخترت مصدراً لا يذكر سوى الروايات التي جاءت في الصحاح الستة: وهو كتاب (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) للسيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي ج٣ ص٢٩٣ باب في الآيات التي ظهرت يوم مقتل الحسين وبعده. ذكر في هذا الباب ٢٤ حديثاً موثقاً صحيحاً على شرط رجالهم. نختار منها بعضها:

الأول: ما جاء في الصواعق المحرقة لابن حجر ص١١٦ قال: وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن (نظره) الأزدية أنها قالت: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام (أمطرت السماء دماً) فأصبحنا وجبابنا (أي آبارنا) وجرارنا مملوءة.

وفي رواية: أنه مطر كالدم على البيوت والجدر (جمع جدار) بخراسان والشام والكوفة.

الثاني: ونفس المعنى ورد في الحديث التالي في (ذخائر العقبى للمحب الطبري ص١٤٥) قال: وعن جعفر بن سليمان قال:

حدثتني خالتي أم سالم قالت: لما قتل الحسين عليه السلام مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجدر قالت: وبلغني أنه كان بخراسان والشام والكوفة.

من الحديثين السابقين شملت أمطار الدم (بعد مقتل الحسين) مساحات شاسعة من الأرض في العالم القديم وامتدت إلى خراسان التي تشمل مناطق إيران الشرقية وأفغانستان وقد تشمل الباكستان أيضاً ومن الجانب الغربي لهذا العالم القديم شملت بلاد الشام وهي تشمل فلسطين (وعاصمتها القدس) ولبنان وسوريا وأيضاً الكوفة التي تشمل معظم سواد الطرق وهو موقع حادثة عاشوراء ومقتل الإمام الحسين عليه السلام ومن الأحاديث التي تشير لحدوث أمطار الدم هذا الحديث الذي ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه تهذيب التهذيب ج٢ ص٣٥٤ قال: وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن معمر، قال: أول ما عرف الزهري تلكم في مجلس الوليد بن عبد الملك (الذي حكم بعد أبيه عبد الملك بن مروان وحكم مروان بن الحكم ومعاوية بن يزيد بن معاوية).

فقال الوليد: أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين عليه السلام؟ فقال الزهري: بلغني أنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

وفي حديث آخر يشير إليه (الهثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص١٩٦) قال: وعن الزهري قال: قال لي عبد الملك: أي واحد أنت إن أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين عليه السلام: فقال: قلت لم ترفع حصاة بيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط (ثم قال) وعن الزهري قال: ما رفع بالشام حجر يوم قتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام إلا عن دم وفي (ذخائر العقبى) للمحب الطبري ص١٤٥ قال: (وعن ابن شهاب: لما قتل الحسين عليه السلام لم يرفع أو لم يقلع حجر بالشام إلا عن دم.

أقول وكما هو واضح من الأحاديث السابقة حدوث ظاهرة المطر الدموي أو وجود الدم العبيط تحت كل حجر في أنحاء مختلفة من المنطقة العربية خاصة الشام التي هي تحت حكم يزيد بن معاوية وبقية حكام بني أمية إلى حين فترة حكم عبد الملك بن مروان الذي تسأل في مجلسه عن هذه الحادثة المروعة وأجابه الزهري الذي أما قد سمع بهذه الحادثة أو الحوادث أو رآها بعينه من كل هذا يتضح عالمية الحدث حيث امتدت من خراسان التي هي الطرف الشرقي لإيران والمناطق العربية منها حتى الشام والقدس مروراً بالكوفة.

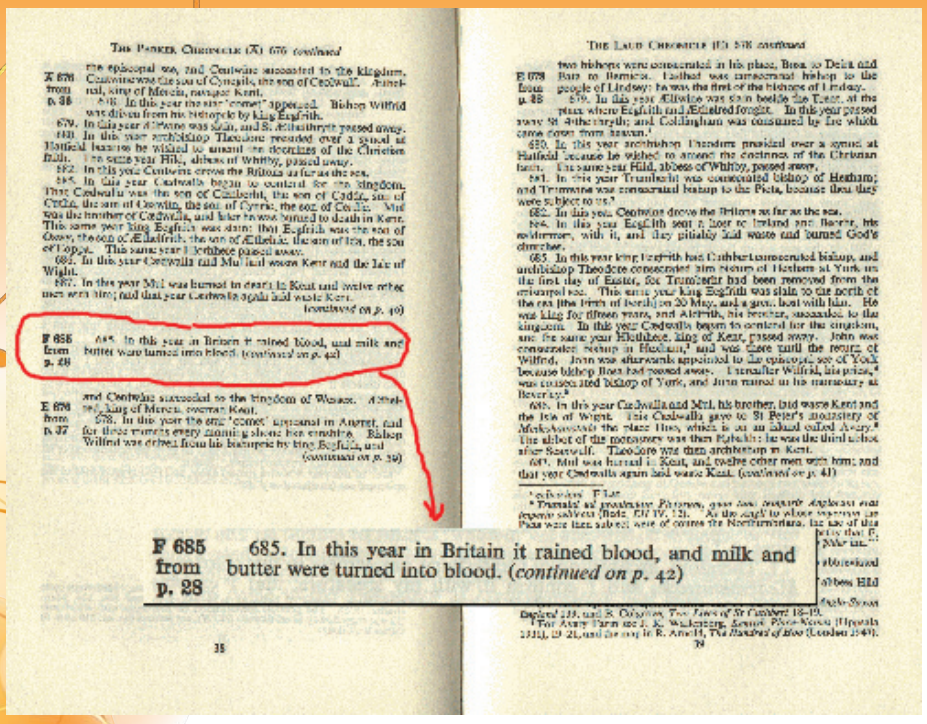

إن الذي حفزني على كتابة هذا الموضوع هو حصولي على منشور وزع في لندن قبل ثمان أو تسع سنوات في إحدى التظاهرات التي يقوم بها المسلمون بمناسبة عاشوراء وقد وزع هذا المنشور من قبل الشباب المسلم ويحوي على معلومة قد نشرتها مجلة قديمة جداً تدعى (The Anglo-Saxon Chronicle) والتي تذكر حوادث السنين التي مرت على بريطانيا من السنة الأولى ما بعد ميلاد المسيح عليه السلام وعندما يصل مؤلف هذه الأحداث إلى سنة ٦٨٥م وهي تقابل سنة ٦١هـ سنة شهادة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام. فيذكر المؤلف (جي أن كارمون سوي) أن هذه السنة (أي ٦٨٥م) مطرت السماء دماً. ويقول أيضاً أن الناس أصبحوا في بريطانيا فوجدوا أن ألبانهم وأزبادهم تحولت إلى دم. راجع الصورة المرفقة للمجلة والصفحة (٣٨) منها التي توضح السنة المذكرة بالنص الإنكليزي.

ولزيادة في البحث والتنقيب بحثا في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) عن هذه المجلة وقد وجدناها بنفس الاسم والتاريخ ما بين السنة الأولى لميلاد المسيح وسنة (٧٤٨م) تذكر الصفحة أحداث كثيرة للملوك البريطانيين وحكمها وعزل بعضهم البعض إلى أن تصل إلى آخر سطر وتروي نفس النص الذي ذكرناه سابقاً وأنا أدعو القارئ الكريم أن يبحث بنفسه في الإنترنت لكي يتأكد من هذه المعلومة المذهلة.

سوف أكتفي بهذه العجالة في مقالتي هذه وسوف أتثبت وأدعو القراء للبحث معي في المصادر المختلفة التاريخية وحتى الانترنت لمعرفة ما حدث في تلك السنة في أنحاء أخرى في العالم القديم (التي تشمل آسيا وأفريقيا وأوربا) لتثبيت عالمية هذا الحدث المفجع والذي شمل أرجاء الدنيا لمقتل الإمام الحسين عليه السلام وتثبيت المقولة التي تقول كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء ■

ثورة الحسين عليه السلام.. مواقف وعبر

م. هاشم جعفر حسين الموسوي •
كلية التربية/ جامعة بابل

ينابيع

في حياة الشعوب والأمم محطات مضيئة، تقف عندها، لتستلهم منها الدروس والعبر، وتفيد منها ما ينفعها لحاضرها ومستقبلها، كما أنها تحيي ذكريات عظائمها وقادتها، وفاءً لهم، واستشعاراً بعظمة ما قدّموا، وما ضحّوا وما نفعوا به الأجيال.

ونحن ـ المسلمين ـ نستقبل شهر محرم الحرام، وفيه ذكرى عاشوراء، وهي محطةٌ كبرى في تأريخنا، بل في تأريخ الإنسانية جمعاء.

وأي نهضة أحقّ بالوقوف عندها من هذه النهضة المباركة، لاستلهام دروس وعِبَر وإيحاءات كثيرة جداً، ومواقف جليلة شاخصة أمام الأجيال المتعاقبة ـ مُثُلاً وقِيَماً ـ، ونشير هنا إلى بعض منها:

١ـ تجسيد المفاهيم القرآنية والسنة النبوية الأصيلة.

إنَّ تلك الملحمة الإلهية بما مثلته من قيم ومبادئ هي مدرسة للإنسانية على مرِّ العصور، ومهما اختلفت أسماء الظلمة، وتصارع الحقّ والباطل. فهي التُرجمان الحقيقي الواقعي للقرآن الكريم والتجسيد الحيّ للسنَّة المحمدية الأصيلة التي لا لبس فيها ولا تحويل. لقد مثلت هذه النهضة ـ بكل مراحلها ـ المفاهيم الإسلامية كافة التي تنطلق من روح القرآن الكريم ووحي الرسالة، لذا فمن الطبيعي أن تكون ثمرة تلك الحركة الفوز والنجاح والنصر (انتصار الدم على السيف، وانتصار الحق على الطغيان والظلم، وانتصار الإنسانية على الهمجية والوثنية الفكرية).

٢ـ عدم الركون للظالم وعدم السكوت على الظلم.

فقائد هذه الملحمة هو الإمام

الحسين عليه السلام وهو الامتداد الروحي لشخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والمثال الحيّ لقيم النبوّة والإمامة.

لقد وقف الإمام عليه السلام في يوم كربلاء، ليجسد قيم القرآن الكريم في مواقف مشرِّفة، ألقت بإشراقاتها وإيحاءاتها على كل الأزمنة والأمكنة وما زالت.

من ذلك موقفه عليه السلام عندما عرضت عليه البيعة ليزيد اللعين، فأعلن الحسين عليه السلام صوت السماء الناطق في العديد من الآيات القرآنية المعبرة عن رفض الظلم والركون إلى الظالم، كما في سورة النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا) (النساء :١٤٤) وفي سورة المائدة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ) (المائدة : ٥٧)، وفي سورة هود: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) (هود : ١١٣).

ومنها موقف الحسين عليه السلام عندما عرضت عليه المغريات، ليصرف النظر عن تكليفه الشرعي، فرفضها، كما رفضها جدَّهُ الأكرم صلى الله عليه وآله من قبل، فقال: (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمرَ ما تركته أو أهلك فيه، حتى يظهره الله)[1].

أليست هذه الروح هي التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام بقوله: (إنّا أهلُ بيتِ النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم. ويزيد رجلٌ فاسق شاربُ الخمر وقاتلُ النفس المحترمة، معلنٌ بالفسق. ومِثْلي لا يُبايعُ مِثْلَه)[2].

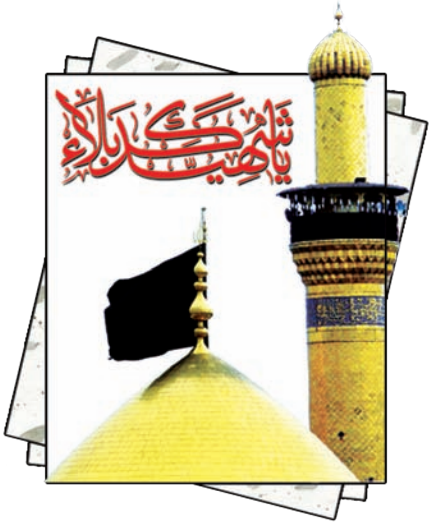

ونستوحي من ذلك أنَّ السكوت عن الحقّ والرضوخ للظلم مرفوض إسلامياً وإنسانياً، وهذا الرفض له قابلية التحقّق في كل زمانٍ ومكانٍ.

٣ـ شهداء الطف ثمرةُ مدرسة آل البيت عليهم السلام.

أنتجت هذه الثورة المباركة رموزاً للتضحية والبطولة، والطاعة المطلقة لله ولرسوله وللأئمة المفترض طاعتهم، مصداقاً لقوله تعالى في سورة النساء: (أَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء : ٥٩).

وقد جسد هؤلاء النخبة الأوفياء من السادة الأطهار، والأصحاب الأشراف قيم الرسالة المحمدية وأهداف الإمامة العلوية، فاستحقوا ما نالوا من التكريم، ليقف كل مؤمنٍ ومحبٍ أمامهم مردداً: (السلام عليكم يا أولياءَ اللّه وأحبّاءَه، السلام عليكم يا أصفياءَ اللّه وأوِدّاءَه، السلام عليكم يا أنصارَ دينِ اللّه ...)[٢].

إنَّ تلك الصفوة المختارة مع الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ تجاوزت الحدود الجغرافية لكربلاء لتحوّل كل بقعة من بقاع الأرض إلى كربلاء.

وتجاوزت حدود العاشر من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة لتحوّل كلّ يوم إلى عاشوراء.

إنها نخبة، وأي نخبة ـ برغم قلتها ـ ضمت نماذج متنوعة، شملت شرائح المجتمع الإنساني الأفضل بكل أجناسه وقومياته وأديانه التي جمعها جامع الإسلام، فمنهم المسلم ومنهم النصراني، ومنهم الشيخ ومنهم الشاب ومنهم الطفل الرضيع، ومنهم الأسود ومنهم الأبيض، ومنهم العبد ومنهم السيد.

اجتمعوا لنصرة الحقيقة والتشيّع لدين الإنسانية وقِيَمُها ومُثُلُها العليا، قدّموا للبشرية أبلغ دروس التضحية والفداء والعزّة واحترام حرية الإنسان وكرامته.

إنَّ المواقف كثيرة والدروس والعبَر جليلة، تحتاج إلى وقفات أطول للشرح والتفصيل لا يسعها هذا المقام.

أُنادي هنا العَلْيا هنا يَذْهَبُ الضما
سلامٌ على نبعيكَ يا أرضَ كربلا ■

---

(١) أعيان الشيعة، الأمين ٨/ ١١٥.
(٢) حياة الإمام الحسين، القرشي ٢/ ٢٠٩.
(٣) مصباح المتهجد، الطوسي ص٧٢٢.

www.imamhussain.org

المنبر الحسيني

• طالب علي الشرقي

في لفظ المنبر واشتقاقه، يقول ابن منظور في اللسان: (النبر بالكلام: الهمز، وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره، وكل مرتفع منتبر، والمِنبر، مرقاة الخاطب، سمي منبراً لارتفاعه وعلوه[1].

ويرى الدكتور حسين مؤنس: إن المنبر مفهوم يغلب أنه دخل لغة قريش من لهجة اليمن عن طريق الجماعة المسيحية في نجران، ومعاجم اللغة لا تطيل فيه .. وفيما عدا هذه الاستعمالات القليلة لـ(منبر) بمعنى الارتفاع لا نجد له ذكراً في اللغة، والغالب إن المنبر دخل باستعماله الديني كما هو، دون أن يكون اشتقاقاً من فعل (نبر) واللفظ غير قرآني على أي حال، فلا وجود له في الكتاب الكريم)[2].

لم أجد بين أصحاب المعاجم من يشير إلى هذا القول كالفيروز آبادي في القاموس المحيط، والرازي في مختار الصحاح، وصاحب المنجد الذي قال: المنبر جمعه منابر: محل يرتقيه الخطيب أو الواعظ ..سمي به لارتفاعه ولرفع الصوت عليه، وكسرت الميم على التشبيه بالآلة). أخذ لك من الفعل (نبر) ومشتقاته فذكر: إنتبر الخطيب أي ارتفع فوق المنبر.

وجاء في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: إن المستحسن من الخطيب أن يخطب قائماً على نشز من الأرض أو على راحلته[3].

وظاهر الأمر أن المنبر بشكله الحالي لم يكن موجوداً قبل الإسلام. وعندما بني مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كان منبره أول الأمر مجرد ارتفاع في الأرض إلى جانب موضع المحراب.

قول البخاري في كتاب الصلاة: إنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي على منبره وهذا لا

يمكن إذا كان المنبر على شكله الحالي أو قريباً منه، ولابد أنه كان مساحة مرتفعة تكفي لإقامة الصلاة عليها ربما كانت بنيت من الآجر[٤]. ولا يخفى أنه لابد أن يكون محل صلاته الفرادى لا الجماعة لأنه لا تصح إمامة المرتفع عن محل المأمومين كما يذكره الفقهاء.

وأول منبر خشبي صنع للرسول صلى الله عليه وآله ذكره ابن الأثير، قال: إنَّ منبراً خشبياً صنع للرسول سنة (٦أو ٧أو ...) ووضع في مسجده[٥].

ويقول الحلبي في السيرة الحلبية: إنَّ الذي صنع المنبر الخشبي لمسجد الرسول كان قبطياً أو رومياً يسمى باخوم أو باقول، وإنه صنعه من درجتين ثم مقعد يجلس عليه الرسول صلى الله عليه وآله.

وظلت المنابر على هذه الصورة حتى أيام معاوية، فصنع لنفسه منبراً خشبياً متنقلاً من ست درجات ومقعد.. وأول منبر خشبي كبير قريب الشبه بمنابر اليوم كان في مسجد قرطبة الجامع.

وفي مصر منبر كبير وضعه الحاكم الفاطمي سنة (٤٠٥هـ) في جامع عمرو في الفسطاط، ثم أصبح لكل مدينة كبيرة مسجد جامع ذو منبر[٦].

هذا تعريف موجز للمنبر في مراحل نشوئه وتطوّره. وهو من هذا الجانب جسدٌ بلا روح، وروحه تتمثل بما يلقى من فوق أعواده وخير مثال للمنبر الحي: منبر سيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين الإمام (علي بن أبي طالب عليه السلام) وذلك بما أفاضته خزائن علمه وصدق معتقده وفنون بلاغته وقوانين إدارته وأساليب حكمه في السلم وفي الحرب. إنها مفردات المنهاج الإلهي الذي جاء به الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله

ونشرها بين الناس كافة (العدل والمساواة وحسن الخلق والدفاع عن كلمة التوحيد) وقد جسدها الوصي قولاً وعملاً وترك لنا من ثمار منبره أروع الخطب، حفظ بعضها المؤرخون وأرباب السِّيرْ وجمع السيد الشريف الرضي قسماً منها وأودعها كتاب (نهج البلاغة)..

لقد كان المنبر ولا يزال من وسائل الإعلام المؤثرة، وله دور فعّال قبل ظهور وسائل الإعلام الحديثة. ومهما تعددت أشكاله وأحجامه وما يدخل عليه من فنون الصنعة والتزويق، يبقى كما قال ابن مُنظور في اللسان: مرقاة الخاطب، يتسلقه المفوّهون ليوصلوا ما في خواطرهم من أفكار وعقائد وتوجيه وتثوير لجمع الناس. والعرب خير من أنجب لهذا الفن الأصيل من الخطباء المصقعين، فهم أصحاب بلاغة وفصاحة واقتدار عال في التصرف باللغة وتطويعها لمقتضى الحال. قال الجاحظ: (كل شيء للعرب فإنما هي بديهةٌ وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا استعانة). وكان خطيبهم كما يصفه المراقبون ـ رابط الجأش، ثابت الجنان، ساكن الجوارح، جميل الصوت، شديد العارضة حاضر البديهة، ظاهر الحجة، حسن السمعة والمظهر، حلو الإيقاع، سليم المنطق، مؤمناً بما يقول.

وإذا صدق ظني فإن نسبة المنبر لم تحصل إلا في صدر الإسلام، فقيل: منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ومنبر أمير المؤمنين علي عليه السلام. وانفرد الشيعة بتسمية المنبر الحسيني أو منبر العزاء الحسيني الذي بدأ منذ عهد الأئمة الأطهار عليهم السلام بعد فاجعة كربلاء.

فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال لفضيل الصيرفي

عندما جلس عزاءً للحسين عليه السلام: (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا)[٧] وكان ذلك بالتواصل والإصرار على إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام لإدامة إشعاع الفكر الرسالي لأئمة أهل البيت على مدار الزمن.

إنَّ المنبر الحسيني مدرسة، ووسيلة فاعلة في مجال الإرشاد والإعلام يرتقيه ـ أحياناً ـ خطيب تنقصه الخبرة، وتأخذه الرواية الملفّقة والخبر الموضوع، وينسى أنه مسئول عما يروي، وإن فعله هذا يعود عليه بالمردود السلبي إذا لم ينعكس سلباً على المنبر ذاته.

إنَّ المنبر الحسيني لم يكن محصوراً في مدينة أو قرية لينحصر تأثيره، بل اتسعت دائرة انتشاره فعمت جميع الأرجاء. إن هذا الاتساع خلق حاجة ظاهرة لأعداد كبيرة من الخطباء في وقت قصير، فأثر ذلك على النوع، وصار الدافع الأول مادياً، وتحول المنبر الحسيني إلى أداة ارتزاق على حساب القيم العليا للطائفة.

إنَّ كثيراً من الخطباء دون مستوى الطموح من حيث: (الملكات الذاتية ومستوى التحصيل العلمي والذوق الأدبي، وقوة الحافظة، واقتناص الأمثلة والشواهد المؤثرة، والحضور الذهن، والخزين المعرفي، والقدرة على التمييز بين الخبر الصحيح وغير الصحيح، وتقييم مستوى الحضور في المجلس والوضوح في التلفظ، والصحة في اللغة والنحو، وأخيراً الصوت الشجي الذي يثير العواطف ويستدر الدموع)[٨].

ويرى المصلح المجدد الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله: إنَّ الخطابة ـ في وقته ـ لا تفي بمهامها الرسالية، ولابد من العمل لإنقاذها بفتح معهد خاص يعني بشؤون الخطابة والخطيب. ولم يكن هذا الهدف غائباً عن أبناء أكبر حاضنة لخطباء المنبر الحسيني مدينة النجف الأشرف، وتألفت لجنة في عام (١٣٦٣هـ) لهذا الغرض على أثر التحسس العام الذي ظهر في جميع الأوساط المثقفة في العراق بضرورة تهذيب ناشئة خطباء المنبر الحسيني وتثقيفهم ثقافة عالية تليق برسالة الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام وباشرت اللجنة أعمالها وشرعت بفتح صف تجريبي، وبعد شهر واحد فقط ثارت زوبعة عنيفة على اللجنة بحجة أنها تسعى إلى تحديد نوع الخطابة وتحديد عدد الخطباء والتقليص من ذكر الحسين عليه السلام. فأغلقت اللجنة الصف، واعتزل الشيخ المظفر المجتمع أياماً ريثما يهدأ الجو[٩].

إنَّ أساس فكرة تطوير المنبر الحسيني تهدف إلى أمرين:

الأمر الأول: يخص الخطيب نفسه، فلابد من بناء شخصيته وفق منظور حضاري جديد وذلك بتزويده بمختلف العلوم والمعارف الإنسانية واطلاعه على التيارات الفكرية المختلفة، وعلى جانب من العلوم الصرفة التي تندرج في مجال الثقافة العامة، وحبذا لو تعلم لغة ثانية تيسر له الإطلاع على تراث الأمم الأخرى وتجاربها ومعتقداتها.

والأمر الثاني: تهذيب محتوى المجلس الحسيني مما ألصق به من هنات ومبالغات، وأخرى ضعيفة وعبارات لا تخدم العقيدة.

يقول المرحوم الدكتور الشيخ أحمد الوائلي:(المنبر الحسيني صوت الحسين عليه السلام فينبغي أن يكون المنبر معبراً عن مزاج صاحب الصوت وأن يحقق أهداف نهضة الحسين. فليست هي مجرد تعبير عن آهةٍ أو تشنج عاطفي، فليس هذا هو ثمن الدماء الزكية التي سفكت في كربلاء، بل ثمنها تجسيد صوت الطف، من أجل إحقاق الحق ونصرة المظلومين)[10].

والشيخ الوائلي من دعاة المنبر الواعي المتجدد، بل هو خير من يمثل المنبر الواعي المتجدد. ينبغي أن تتظافر جهود الدعاة والمبلغين كلٌ حسب طاقته لرسم صورة أفضل للمنبر الحسيني[11] كما يدعوا إلى وجود رقابة على ما يقال على المنبر لأنه يحمل رسالتنا إلى الجماهير، وينبغي أن نشعر بمسؤولية الكلمة وخطر الفكرة. لقد أصبح العالم مكاناً واحداً تنتقل فيه الكلمة والفكرة بسرعة البرق، وبناءاً على ذلك لم يعد المنبر حالة خاصة بنا نمارسها بدون قيود أو ضوابط خصوصاً مع وجود جهات تحرف الكلم عن مواضعه، ويهمها ـ تحقيقاً لهدفها وهدف من يقف وراءها ـ أن تسمم الأجواء[12].

ولأجل الوصول إلى منبر يلبي الحاجة، ويغير الواقع إلى الأفضل، يفترض وجود مؤسسات قادرة على تحقيق ذلك، أهمها ما تصوَّره عميد المنبر الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي فقال:

أولاً: جهة الخطيب نفسه. وعليه تطوير قدراته الذاتية.

ثانياً: جهة الدولة.

ثالثاً: جهة المرجعية الدينية.

ولم يترك تلك التصورات دون أن يلحقها ببعض التحفظات والاحتمالات السلبية والإيجابية..

ففي الجهة الأولى: قصور قدرات الفرد عن توفير مستلزمات التطوير، وأن الأفراد يختلفون في الميول والرغبات، وفي الاختيارات وبالتالي فإن العمل الجماعي أنجح من العمل الفردي.

وفي الجهة الثانية: وقوف سياسة الدولة بوجه حرية المنبر في معالجة أي موضوع عقائدي أو اجتماعي أو اقتصادي. وإنَّ ارتباط المنبر بالجهة الحكومية يجعله يخسر الدعم الشعبي. ثم إنه سيكون مهدداً بعدم الاستمرار وفقاً لمزاج الجهة الرسمية.

أما الجهة الثالثة: ـ جهة المرجعية الدينية ـ فهي الأكثر نفعاً وضماناً، وتحقق أمراً مهماً هو توفير الجانب الروحي والأخلاقي والعلمي الذي يشكل القاعدة الأساسية لثقافة المنبر، إضافة إلى الدعم المادي[١٣].

والحقيقة: إنَّ التدقيق في هذه التصورات يعطي انطباعاً مبدئياً بإمكان الوصول إلى بناء منبر حديث قوي مؤثر، حين يتوفر الدعم المتميز من جميع تلك الجهات كلٌ حسب اختصاصه. على أن دعم المرجعية الدينية للمنبر الحسيني بألطافها الروحانية، وإمكاناتها المادية، وضمّه إليها كمؤسسة إعلامية عقائدية إسلامية، يزيد من احتمال تحقيق الطفرة النوعية في هذا المشروع الحيوي الهام (وإن مجرد وضع لبنة ولو بسيطة في البداية، ومتابعة البناء، تؤدي بالتدريج إلى تحقيق الكثير)[١٤].

وختاماً أقول: إنَّ تحقيق مشروع المنبر الحسيني الحديث المتطوّر، يعني توفير دائرة معارف متكاملة، لا يستغني عنها المسلمون وغير المسلمين بما ثبته من مفاهيم عالية المستوى، رصينة المحتوى، نزيهة المقاصد خالية من شوائب الماضي، تكشف عن جواهر القرآن المجيد، وكنوز علوم أهل البيت الأطهار، وتشكل حلقة إيجابية في سلسلة مصادر التهذيب والبناء العقائدي والعلمي المعاصر ■

---

(١) لسان العرب مادة نبر

(٢) المساجد (سلسلة عالم المعرفة) ص٨٢-٨٣

(٣) الدكتور جواد علي، ٧٧٣/٨

(٤) الدكتور حسين مؤنس، المساجد ص٨٣

(٥) انظر أسد الغابة، ٢٣/١

(٦) الدكتور حسين مؤنس، المساجد، ص٨٧

(٧) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٥٠٩/١٠، باب استحباب البكاء لقتل الحسين عليه السلام الحديث ٢، منشورات الأعلمي، بيروت، المجلد ٥.

(٨) طالب علي الشرقي، خواطر ومقتبسات في الدين والأدب والحياة، مخطوط.

(٩) محمد مهدي الآصفي، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ص١٣٣-١٣٤.

(١٠) الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، تجارب مع المنبر، ص٦.

(١١) المصدر السابق، ص٨.

(١٢) المصدر السابق، ص١٥.

(١٣) الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، تجاربي مع المنبر، ص٦٠-٦١.

(١٤) المصدر السابق، ص٦٣.

كلمات متقاطعة

الكلمات الأفقية:

١ـ من أنصار الإمام الحسين عليه السلام.
٢ـ نجيع، ساحة الحرب.
٣ـ الاسم الأول لأحد أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ذوى.
٤ـ نصف مدمع، ضياء، ثلثا عون.
٥ـ مكرر، حرف عطف، نصف راكب.
٦ـ أطول نهر في العالم (م)، من صفات حرّ صيف.
٧ـ شجاع، بقايا النار.
٨ـ أجزاء (م)، منزل من منازل الركب الحسيني.
٩ـ من كتب المقاتل بدون (ال)، للتأوه (م).
١٠ـ بقية من الحياة (م)، حال الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده.

الكلمات العمودية:

١ـ نهر كان يجري قديماً في كربلاء.
٢ـ اسم زوجة زهير بن القين (ث)، يبصر.
٣ـ راوي وقائع فاجعة كربلاء الدامية.
٤ـ ضيم.
٥ـ نصف مبكي (م)، من أشهر زيارات الإمام الحسين عليه السلام (م).
٦ـ من أسماء كربلاء، ثغر.
٧ـ ساعد، من روافد الفرات.

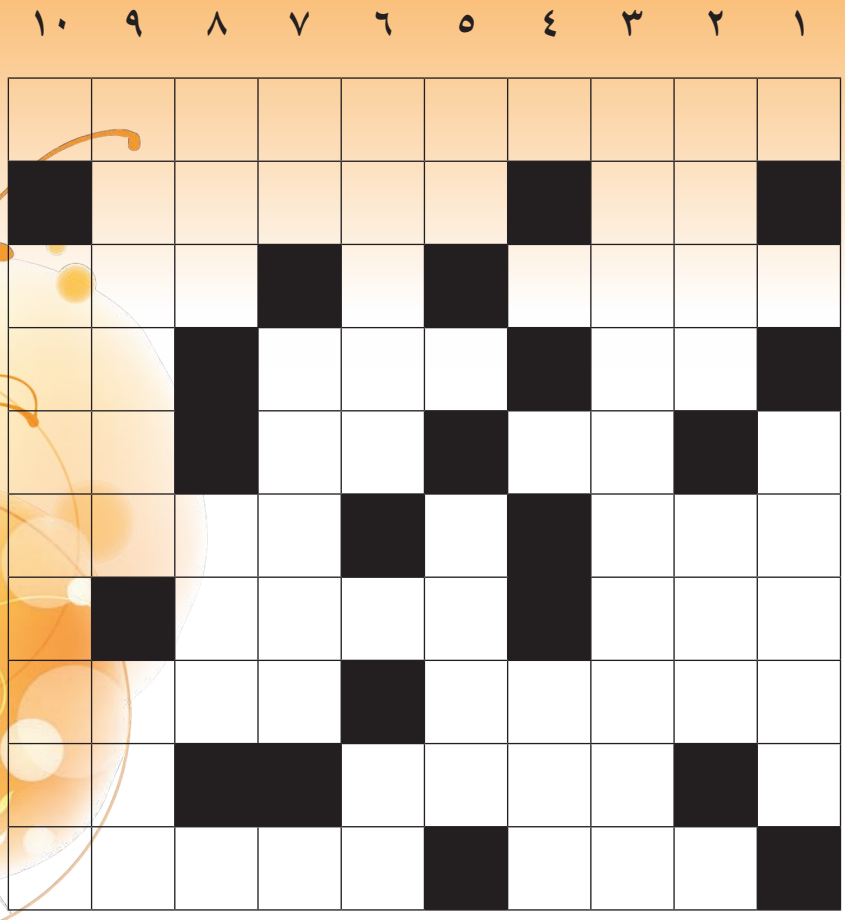

٨ـ اضمحل، غاية.

٩ـ رقم مميز من الأرقام يدل على يوم زيارة الإمام الحسين عليه السلام (ث)، تخرّق وانشقّ (م).

١٠ـ اسم فرس الإمام الحسين عليه السلام.

ملاحظة: الإشارة (م) تعني: معكوسة، والإشارة (ث) تعني: مبعثرة

أجوبة مسابقة العدد (٣٢)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ج. واقعة بدر

السـؤال الثـاني: ب. عثمان بن حنيف/ البصرة

السـؤال الثالـث: ج. مثير الأحزان

السـؤال الرابـع: أ. الإمام علي عليه السلام

السؤال الخامس: ب. المنبر

السؤال السادس: ب. فقير لا يبيع آخرته بدنياه

السـؤال السـابع: أ. كان من السابقين بالخيرات

السـؤال الثامـن: ب. النجباء

السـؤال التاسـع: أ. الأخنس

الفائز بالجائزة الأولى: ليث فوزي عبد الباقي/ صلاح الدين ـ قضاء بلد.

الفائز بالجائزة الثانية: رافد صادق/ النجف الأشرف ـ حي الميلاد.

الفائز بالجائزة الثالثة: عمار حسن صادق/ البصرة ـ القرنة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد